

عبد الوهاب المؤدب

قبر ابن عربي
يليه آياء





ترجمة : محمد بنيس

المجلس الأعلى للثقافة



المشروع القومي للترجمة

103

المشروع القومى للترجمة

قبر ابن عربي

يليه

آيـــــاء



١٩٩٩

العنوان الأصلي للديوانين

Tombeau d'Ibn Arabi
***Sillages*, 1987**
***2ème édition Fata Morgana*, 1995**

Les 99 stations de Yale
***Fata Morgana*, 1995**

عبد الوهاب المؤدب

قبر ابن عربي

يليه

آيـــاء

شعر

ترجمة محمد بنيــس

قبر ابن عربي

عشق يخاطر بالمتاهات

تسميةُ ديوان عبد الوهاب المؤدب باسم قبر ابن عربي يعود إلى تقليد أوروبي منتشر في أعمال شعراء منذ القرن السابع عشر. وقد أصبحت هذه التسميةُ، ابتداء من بودلير وملارمي، تكتسب دلالةً تتجاوز غرض الرثاء. إنها تدل، قبل كل شيء، على تقاطعات شعرية بين تجارب ذات تجاوبات جمالية - فكرية. وهذا التقليد مستمر حتى اليوم. ولربما كان «قبرُ أبُولينير»، للشاعر الأميريكي ألن غينزبيرغ، علامةً على هذه الاستمرارية في التجاوبات.

علينا، إذن، أن نتخلص من المقابلة بين قبور الشعراء وغرض الرثاء. بذلك يمكننا أن ننفتحَ على كتابات خصت الشعراءَ الأموات بقبور هي الذهابُ إلى أبعد المناطق في الكتابة. وعبد الوهاب المؤدب يختار الطريقةَ ذاتها وهو يستدعي ابن عربي. كتابته وحدها تدلُّنا على خصيصةِ التّقاطُعات. في الكتابة نكون في حضرة ترجمان الأشواق على منوال لم يكن ليخطر على بال ابن عربي، الذي يذكر في مقدمة ديوانه أنه. لما نزل مكة سنة خمسمائة وثمان وتسعين، التقى الشيخ أبا شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجا الأصفهاني، وكان لهذا الشيخ «بنتٌ عذراء، طُفَيْلة هيفَاء، تقيدُ النظرَ، وتزيّن المَحاضِر والمُحاضِر، وتحيّر المنَاظِر، تُسمَّى

بالنِّظام وتلقَّب بعين الشمس والبهَا». عابدةٌ عالمةٌ سايِحةٌ زاهدة. في هذه البيتِ كتب ابنُ عربي غزلاً أوْدعَه الديوان.

بين ابن عربي وعبد الوهاب المؤدب ثمانية قرون. كما أن بينهما فارقَ اللغة. شهادةٌ على تبدُّل الزمن (التاريخي والثقافي) وعلى تبدُّل العاشق والعَشِيقَة. لذلك فإن قبر ابن عربي إعادةُ كتابةٍ حديثة لتجربة العشق، في زمن لم يعد يلتفت للعشق ولا للعشاق. لقاء يتحقق بعد ثمانية قرون، عبر تجربة شعرية تنفذُ مباشرةً إلى الزمن الشعري، الذي لا يتوقف عند الزمن التقني، التاريخي. ما يميز ترجمان الأشواق هو استدعاؤه فضاءَ الصحراء، كما هي مكتوبة في القصيدة الجاهلية. عودةٌ لا تعبأ قليلاً أو كثيراً بمواقف الشعراء المتأخرين، المحدثين، الذين انتقلوا بشعرهم من بادية الصحراء إلى حضَر المدينة. وعبد الوهاب المؤدب يستحضر الفضاءَ ذاته في ديوانه. فهو فضاءُ الأبديِّ وفضاءُ اللانهائيِّ، كلٌّ منهما يأخذ بيد غيره نحو توالُد الدلالات من رحِم التجربة الكتابية، كتجربة للسفر في اللامُسمَّى، على غرار أعْرَقِ الكتابات.

يبدأ قبر ابن عربي بكلمة «أطْلال». وهي العلامة الأولى على طريق إعادة الكتابة كما على طريق القراءة. وعبر إحدى وستين مُقطَّعة يسترسل الديوان في نفَسٍ إنشاديٍّ، متوقد، متوتّر حيناً، متموِّج حيناً آخر، دون أن يتخلى التمازجُ بين حالات العشق عن التوقف في مربط معلوم. ونحن من مربط إلى آخر نستحثُّ النفَس لتتبع العَابِرِ، الرحَّال، من صحراء إلى

صحراء، مفتونين بالشهوة والمكابدة. أثناء ذلك تبدو سَماءُ الكتابة أعْلَى السّماوات. طبقاتٌ من الحساسية تتداخل وتختلط. والنشيدُ ما يبْقَى لنا ونحن نغيِّر المواقعَ تائهين. كلُّ المقطَّعات تتوالى على أثر اللاّنهائي في العبارة، وهي تُلاحق صرامة ما يلزَم من الكشف والانكشاف. حالة عشقيّة بامتياز.

لم يهدف عبد الوهاب المؤدب، بذلك، إلى إحْياء سُنّة المعارضة. إنه يخطف الأثر ليُلقيَ به بعيداً، في جهة مجهولة من الذات ومن الكتابة. في المجهول، في دروب مُبهمة لا تُفصح دائماً عن نهاية للْجمَال الساطع. تجربة الداخل تتوازَى مع تجربة الخارج. في التمازج بينهما، في الانبثاقات، في الحُمَّى، تظل الحبيبةُ لصيقةً بقلب متولِّه، لا شرق لَهُ ولا غرب. جمرةُ العاشقين تمتلكُنا مثلما تمتلكُ فضاءَ الديوان. حرارةُ الرِّيح أو احتراقُ الأحْشاء شيءٌ مما يجعلنا مُزيَّنين بالحروف اللاّنهائية للكتابة، حتى لا قدرةَ لنا على التنفُّس أو مقاومةِ ما يُمْحى من علامات الطريق، ونحن إلى الهَلاك سائرُون، ننزل المنحدرات، فقراءَ، مجرّدِينَ من الثياب.

بِفِعْل القناديل الموزّعة على المُقطّعات، يصبح قبر ابن عربي مشروعَ كتابة تخترق اللغة لتدل على اللاّمُسمّى في الكتابة. فعلُ الاختراق هو فعْلُ القبر. أعني اختراق الحدود التي يُحتَمل أن يُحيلنا عليها ترجمان الأشواق. فالأمر، هنا، لا ينحصر في استدعاء الصحراء أو البهية النِّظام

ولا حتّى المعرفة الإشراقية لمحيي الدين ابن عربي.

كتابة القبر تتمّ، هنا، بالفرنسية. وإذا كان الأثرُ الأولُ مكتوباً بالعربية فإن الفرنسية تنتقل من وضعية التعبير إلى وضعية الكتابة. تقسيمُ الجُمْلة يخضع للنّفَس أولاً. وهو نفَسٌ متشكّلٌ من استعمالٍ للفاصلة استعمالاً لا وجودَ لهُ خارج هذا العمل. ذلك هو الإمضاءُ الشخصي الذي لا يفارقها. يدْمغُها. ويحرّرهـا من الشّبيه. وللكتابة تركيبُها الـذي يبتعد عن أن يكون نحويـاً. مسـارُ الكتابـة وحْدَه يـرصُد لهـا التركيبَ المفـاجئ، المتقطّع، الهاذِي. إنهـا شعرية المحْجُوب الـذي يضاعِفُ اللامُسمَّى، ويحـولّه إلى سرٍّ عليه تقوم تجربةُ الكتابة. من العربية إلى الفرنسية، ومن عمل شعري يلتزم معاييرَ القصيدةِ العربيّة القـديمةِ إلي عمَل يبحثُ عن حداثةِ كتابةٍ في لغة تطلُب من كاتبهـا الخضوعَ إلى القواعد الدّيكَـارتيّة. في الانتقال يكفُّ العمَلُ الشعـريُّ عن استيحاء الأثـرِ الأوّل لكي يُصبح بـدوْرِه أثراً مُسْتقـلاً بنفسه، بين لُغتين، بين كتابتيْن، وبين تجربتين.

ربما كـان انتفاءُ الحدود، في هذا الـديوان، هو ما استحـوذَ عليَّ وأنا أقـرأُه ثم وأنا مُقبلٌ على تـرجمتـه. لم أكن أعرف، بـالضبط، أيْن تنتهي العربيّـةُ وأين تبدأ الفـرنسية. سِمَـةٌ تخص الأعمال الشعـرية التي جـرّبتِ اختراقَ الحدود، مُنقادةً بالعطَش الأصليِّ نحـو اللانهائي في الكتابة. وقد تطلّب النقلُ إلى العربية حـواراً مع الديوان ومع مؤلفه (الذي قـام بمراجعة التـرجمة)، لأن التـرجمةَ في هـذه الحـالة هي العـودة واللاعـودة في آن،

بمعنى أن نقلَ قبر ابن عربي إلى العربية لا يتحقق إلا في كتابة عربية تسعى بدورها لأن تكتسبَ وضعيةَ المضادِّ للحدود. الترجمة، في حالة كهذه، كتابةٌ. كان لابُدَّ من مراعاةِ تاريخيةِ المُعْجم العربيِّ، كلما كان ذلك مطلوباً من العمل الشعري، وأيضاً من استدراج المعاجِم غير العربية بكل دقّة، حتى يمنح المضادُّ نفسَه ويندمجَ في نسيج المكتُوب، بعنايةٍ صَارِمة. تلك هي الترجمة داخِل الترجمة، حينما يكون الشاعر مُترجِماً.

إن الشاعرَ المترجمَ هو منْ يتّخذ من الترجمة فعلاً كتابياً، لا تنازل فيه عن ممارسة تظل متخفّيةً في كتابتِه على الدوام. وقد عوّدَنَا شعراءُ الحداثة في العالم على تحويل الترجمة إلى مُخْتَبر للكتابة. وأعتقد أن قبر ابن عربي في العربية اقترابٌ من عمل شعري لشاعر يكتُب بلسَانيْن، وهي الممارسةُ ذاتُها التي تبنّاها الشاعر العربي الحديث الكاتب بلُغَتِه العربيّة. إنه اقترابٌ يساعدنا في طرح السؤال مُجَدّداً عن الكتابة، اقترابٌ لا يفارق ما أقْدم عليه شعراءٌ وكتابٌ عرب قلّةٌ في اقتحام المَابيْن، مكاناً للسّفر بين لُغتيْن، بين مُتخيلَيْن، من أجل رجِّ الحُدود واختراقِهَا. فالكتابةُ لا تؤدّي إلى مكانٍ بل تُزوِيعُ الأمكنة. وهي، سيدةٌ مترنحةٌ، في اللاشيء الغامض تُقيم.

محمد بنيس

25 مارس، 1999

(1)

أطلالٌ، تـذكّرْهـا، بِلادٌ لـلإهْمالِ، تُرابٌ، ملْجـأٌ للتّائهين، بالصَّدى يخْتلطُ الصوتُ، انْظُرْ إلَى الإنْسانِ في الكهفِ، هَا هُـوَ الجُلمودُ مـرآةٌ، خَـلاءٌ خلاءٌ، هـذَا انتظـاريَ حتَّى تَسحَّ الغُيـومُ دُمـوعَها، انتظـاريَ حتَّى تتكلَّمَ الـزهُـورُ، أُنـادي، لاَ مُجيبَ، تُنصِتُ الحجَـرةُ إلى حُمَّـايَ، كمْ قمـراً في البئـر مُلقًى، كمْ شمْســاً من النِّسيــانِ تخْـرجُ، تلمسُ الشَّجــرةُ السمـاءَ، والشَّـرارةُ تخُطُّ نجْمةً، تلـكَ التماعَـاتٌ مُلبَّـدةٌ في الظُّلماتِ، على أنْفِ جبالِ الجنُوبِ، تلمسُ الـرياحُ الرَّعدَ، في الطريقِ، أَدفـعُ حبَّات مَسْبحَةٍ من الجـواهِرِ، فيمَـا النُّوقُ السوداءُ تَقطعُ الجبـالَ والهضابَ، يغْمرُ الـرمْلُ آثاري، على الكُثبـان، راؤُونَ تـائهُـونَ فِـي ظلِّ الحـدائقِ، قيظُ الصيْفِ، ابتسامةُ النِّساء، الباعثاتِ تقـاليدَ الدُّمَى، فكمْ دروباً مُبْهمةً، أيَّتُها الذَّاكِـرةُ، أَيُّها السِّرُّ، يتبدَّى الضوءُ هارباً، في الدخيلةِ يتعالَى إحْساسٌ قديمٌ، يُفرِّقْ.

(2)

بِـأَيِّ الكلِمـاتِ تنْطِقُ، أَيَّ أدْغَـالٍ تطـأُ، في الطُّمأْنينـةِ، فِي الهَلاكِ، منَ الحُبِّ مُتولِّهاً، فِي إِثْرِهَا تَجْري.

(3)

انْسحَبتْ إذْ بَدتْ، حملتْ عُطورَها وتوابلَها، فِي فجْر الطواويس، انْسَ الوقتَ، يعْمي العرشُ في الرؤْيا، تترنَّحُ السيدةُ على أرْضٍ من البِلَّوْرِ، ترفعُ ثَوْبها، شمسٌ تُهَجِّجُ أَلْوانَ النَّهارِ، عبيرُها بالفرحِ يأتي، كَعْبُها مُفَضَّضٌ، ساقاهَا مُرتَعشَتانِ، عند كُلِّ خطوةٍ، تَبعثُ بالرسَائِلِ إلى شُعُوبِ العَطَشِ، مطِيَّةُ الرَّحَّالِ، مَسكنُ العابرِ، حينما تُهْديكَ الحمِيميَّةَ، تنفتحُ لِذاكرتِكَ، وتقْتَلِعُكَ من أُبُوَّةٍ، في لَيْلةٍ، تَضعُكَ على طريقِ السرِّ، تُلْغي الطقوسَ المُلْجِمةَ للرَّغْبةِ، في كُلِّ قصْرٍ لها احْتفاءٌ، في كُلِّ مَعْبدٍ، هيَ مجْدُ كُلِّ كِتَابٍ، عند ذَهابِها ناديتُ ولا جوابَ، كوْمةً بعدَ كوْمةٍ، جفَّ صبْري، منها احْتفَظْتُ بالجمالِ السّاطعِ في أشدِّ تلاعُباتي، وفي داخِلِي تَنْتشرُ رعْشةُ الملاكْ.

(4)

سـلامٌ عليْكَ أيّهَـا المُحِنُّ، اليتيـمُ، الصَّـديقُ، المُخْتفِي في غمْـرةِ الأَلَـمِ، عُـدْ إلى الضـوْءِ المُـرِنِّ، المُنبثِقِ منَ النَّبْعِ، أَنْتَ، أَيّهـا المُتـوحِّـدُ، الـذي تُهْـدي صـوْمكَ، تَـوبتَكَ، تمـارينَكَ، فُصولكَ، أنْتَ تُغـادرُ خَلْوتكَ الآنَ، تخْـرجُ منْ فصلِ الأَمطار، فلاَ تتراجَعْ عنْ يوْمِ اللِّقاء، لاَ تطُفْ بالسريرِ المُقبَّبِ مِنْ حيثُ تتدلَّى الستـائرُ مرْتخيةً، معْبدٌ تُغطِّيـهِ نتانةُ الذبيحةِ، على مقْرُبـةٍ من البُحيْرةِ التي تعْكسُ زُرقةَ السَّماء، قلبُكَ قنديلٌ يحْترقُ، تَقْذِفُ الجمـرةَ بكاملِ يدكَ، حُنجُرتُكَ تُعطي المـاءَ إيقـاعـهُ، منبثِقاً من خـارج الصَّخْـر، وأنتَ يـا حـاذِيَ النُّوقِ الـوديعةِ، انْكِسِ اللـواءَ بـالقربِ منَ المِسلَّـةِ، هُنـاكَ، في مُلتقَى الطـرقِ، تـوقَّفْ عنـدَ منعَـرجِ المسـارِ، اسْتـرحْ ساعـةً وسلِّمْ، قبلَ التَّـوجُّـهِ نحـوَ القِباب الحمـراءِ، المُتـرائيـةِ من بعيـدِ، عنـدَ أُفُـقِ الحُمَّى، سـلامٌ عليْكَ أيّهـا المُحِنُّ، اليتيـمُ، الكئيبُ، إنْ نحْنُ عليْكَ رددْنـا السـلامَ فلْتكُنْ هِبتُكَ جَمـالاً وإنْ نحنُ لمْ نَنْطِقْ، فـاتْبـعْ طـريقَكَ،

اقْطع النَهـرَ، لاَ تُكلّمِ الـرّعيَّـةَ، القبيلـةَ، مُـرَّ بيْنَ الخيـامِ البيضاءِ، التي تنشُـرُ ظِلالَها على الشِّفاهِ المالِحـةِ، ونادِ علَى العشيقاتِ جميعاً، جُوديَّةَ وآياءُ، هِنْدُ وهيرَا، اطْلُبْ منهُنَّ أَنْ يدْلُلْنكَ علَى الطَّريقِ، علَى البيـاضِ السَّاطعِ المتَلأْلِئِ، بينَ الذُّرَى.

(5)

اسْتَقْبلِ التي، تنـزلُ، من بينكُـم، أثنـاءَ مـرورهَـا تنشُـرُ تبْـراً يعُمِي، فهْيَ تتوقَّفُ، قبْلَ أنْ تفتحَ الباب المُغلقَ، فيما اللَّيلُ يُرخِي ستارتهُ، تقُولُ لها، مرْحباً بكِ، أيَّتُها الأنيقةُ، الغريبةُ، الفـاتنةُ، مُستَمْتِعـاً في اسْمكِ أدخُلُ، في حَـرَمِ رغْبتِكِ أظلُّ أسيراً، أنَـا هدَفُكِ، تُصيبُني نِبالُكِ، بالحَجـرِ الصَّلْدِ أتيَمَّمُ، تَكْشفُ عنْ سـاعـديهَا، يشقُّ الـوميضُ أعْمقَ مـا في اللَّيْلِ، تَقُولُ، مـا الذي يُريـدُ، ألَسْتُ الصُّورةَ، التي لا تَبْـرحُ قلْبهُ، ألَا يَكفيهِ أنْ يتأمَّلني، في كُلِّ مَكانٍ، في كُلِّ وقْتْ؟

(6)

فِي وَقْدةِ الـرُّؤْيَا تُنـاديني، مُتَّهمةً إِيَّـايَ، أَيّها المُتسكِّعُ، مِنْ صحراءَ إِلَى صحْـراءَ، إِنِّي ذاهِبٌ مِنَ الأَقْصَى إِلَى الأَقْصَى، فلاَ زمنٌ يلُمْلِمُني، مَا العملُ، بِلاَ التِئام، دُلِّي على الطريقِ، أَنْتِ جـاذِبتي، لاَ تكْثـرِي عليَّ مـنَ المـلامِ، فـالشُّعلُ تبلُغُ الأَعالِي، الدمُوعُ تحفِرُ الخـدَّيْنِ، يُؤَجِّلُ المنْفِيُّ عَودَتهُ، عليْه المشْيُ يصْعُبُ فـي المَتـاهِ، لاَ مَسْكـنٌ يظلُّ مأْهُـولاً، وهْيَ مترنِّحَةٌ فِي اللاشيْءِ الغَامِضْ.

(7)

فِي اللَّيْلِ تَرى بُزوغَ حِـدادٍ، يَسْكُنُ شِغافَ القَلْبِ، قُلتُ لهُمْ كيْفَ العُثُورُ على الـذَّاهِبينَ، كـانَ الجـوابُ، لقـدِ اخْتـاروا الإقـامَـةَ، هُنــاكَ، حيْثُ لاَ نِهـايـةَ، قُلْتُ لِلــريحِ، اذهَبِي والتَحِقي بِهِمْ، إنَّهُمْ يتفيَّـــأُون عنـدَ ظِلِّ شَجَــرةٍ، نأتْ عنْ شَرْقِهَا عَنْ غَربِهَا، وابْعَثْ لهُـمْ ذِكْرَى مَنْ لاَ عَزاءَ لهُ، لاَبساً خِرْقَةَ الفِراقْ.

(8)

وَمِنْ كُلِّ جـانبٍ دَفعَتْنِـي السَّيِّـداتُ، القَـادِمـاتُ منَ البعيـدِ لِزيارةِ الأَمْكِنةِ، أَحطْنَ بِي، ووقَيْنني مِنَ الشَّمْسِ، فِي الظِّلِّ، قُلْنَ لِي، كُنْ مُهَيَّــأً، نَعْليْكَ اخْلَعْهُمَــا، تَعلَّمْ كَيْفَ تعيشُ لَحْظةَ انْفِصـالِ نَفَسِكَ عنِ الجَسدِ، كَمْ مِنْ رجـالٍ طَهَّرْنهُمْ، مُشيراتٍ عليْهِمْ بالجَـرْيِ، عَلى حقْلٍ منَ الجَمْرِ، مُحْتضِنينَ أَشْــواكَ الــوادِي، مُتــرنِّحينَ فِي أَوْجِ الشَّمْسِ، عــابِــرينَ تَجَمُّعاتِ الحشراتِ، بِأَسْرابٍ منهَا تُغَطِّي التِّلالَ، أَلاَ تَعْلمُ، أنَّ الجَمالَ يَخْتطِفُ الإنْسانَ، ويقْـذِفُ بِهِ إِلَى الزَّوايِعِ، التِي تُعَـرِّي، سأَعْثُـر علَيكُمْ فِي السَّـاعَةِ المَـوْعُودةِ، وراءَ الـوَادِي الجهَنّمِيِّ، هُنـاكَ، خَلفَ ضريحٍ، تتحـدَّى قُـبَّـتُهُ السَّـديمَ، هُنـاكَ حيْثُ يسْهَـرُ مَنْ ذاقَ الشطْحَ، علَى مَقْـرُبـةٍ مِنْ نِسـاءِ يفُحنَ مِسْكـاً وعَنبراً، يُطْلِقْنَ، بـاحْتِشامٍ شُعُـورَهُنَّ، قُماشـاً مَغْمُوقاً، يحْجُبُ الوُجُوهْ.

(9)

وَلَّى شَبَابُهُمْ، آثَارُهُمْ انْدثَرتْ، مُقَامهُمْ أَقْفرَ، لَكِنَّ ولَعَهُمْ يَظَلُّ جَديداً علَى الدَّوَام، تِلكَ بقَاياهُمْ، ذَلِكَ أَسفُهُمْ، وبِذِكْرهمْ تنْفَطِرُ القُلُوبُ، صرخْتُ فيها وهْيَ تتبخْترُ، أنْتِ التِي جَمالُكِ مَا تَمْلكينَ، انْظُرِي كيْفَ لاَ شيْءَ لَديَّ، وَجْهِي لَطَّخْنهُ بِلطَخاتِ سَوْداءَ، مِنَ الحُبِّ لاَ تيْأسُوا، أَبداً، حينَ لنْ يَكونَ بوُسْعِهِ أَنْ يتنفَّسَ، هَذَا الغَارِقُ فِي حَرْفِهِ، الفَانِي فِي نيرانِ المَنْفَى، أَنْتَ المُؤَجَّجُ ، كاللَّهِيبِ، لاَ تَتعجَّلْ، أَجْسادُنَا ستتعلَّمُ كيفَ تَعْبرُ نِيرانَ الجَمراتِ المُفْتَرِسةْ.

(10)

يَقْطعُ الومِيضُ خَيْطَ الرؤيَـا، يَعكِسُ الصَّـدرُ صَوْتَ الصَّعْقِ، سَحَابَـاتٌ تَتُوهُ فَـوْقَ البَرَارِي، قَبْلَ أنْ يبُلِّلَ الـوابِلُ الأشْجَارَ، بِغزارةٍ ينْهَمِرُ المطرُ، وَيَنحَدِرُ عَلى المُرْتفَعاتِ، تَفُوحُ بِهوائِهَا الأَرْضُ، ممْزوجـاً بِرحيقِ الزُّهُـورِ، والخَشبِ، والأَوْراقِ، أَثَرٌ مِنْ هـذهِ الطُّيُـوبِ الهـاربـةِ يَنْطَبِـعُ علَى الجَسَـدِ، واليـدُ مَعَ الروحِ تَبْنِي زُجاجِيَاتٍ تَتْـرِكُ الضَّوْءَ يَسقُطُ أَحْمَرَ، كَما تُحيلُ أَفَاعِي الصَّحْـراءِ السوْداءَ قُرْمُزِيَّـةً، مُتحرِّكَةً عِندَ أَقْـدامِ نِساءٍ بَيْضَاواتٍ جـالِساتٍ، واَضِحاتِ الجبِينِ، جَامِـداتِ السُّحْنَةِ، عيُونهُـنَّ الوَاسِعَـاتُ يقَظاتٌ لِلكَشْفِ، كَـريماتٌ، حَنُـونَاتٌ، مُتَواضِعَاتٌ فِي عظَمتِهِنَّ.

(11)

أَتذَكّرُ، وأَنَا طِفْلٌ، أنَّ هُناكَ كـانتِ امرأَةٌ، مِنْ نَـافِذَتِي، كُلَّ يَوْمٍ، كُنتُ أراهَـا، لَمْ تَكُنْ تُغَادِرُ حدِيقتَهَـا، ولاَ تتوقَّفُ عنِ النَّظَرِ إلَى جَمـالِهَا، هَاذيَّـةً، بينَ حُقُولِ السّـوْسَنِ والخُزَامَى، مِنْ ذَلكَ، لاَ أَتعجَّبُ، فَـالمرْأَةُ التِي كُنتُ أَراهَـا مِرْآةٌ كـانتْ تَحْمِلُ صُورةَ ضَيفَتِي مُسْتَقْبلاً.

(12)

يَـا حَمَامَ جَـزيـرةِ القَمُرِ الشَّـاحِبـةِ، هَديلُكَ يَحْمِلُ الطُّيُـوبَ الاسْتِـوائِيَّـةَ، يُطهِّـرُ النُّفوسَ، وَيُضـاعِفُ العَنـاءَ، يـا حَمـامُ هَـديلُكَ يَنْطِقُ دَمْعـاً، نَحيباً، كُـفَّ عَنْ تَرْديـداتِكَ الكئيبـةِ، شَهيقاً مِنْ طُلُوعِ الفَجْرِ حتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، وكَمِثْلِ صَدَى تُرْسِلُ لِلحَنينِ زَفيراً، لِلْمُتوحِّدِ شَكْوَى، ونَحْنُ جَنْباً إلَى جَنْبِ رتَّلْنَـا النَّحيبَ، تَحْتَ شجَرةٍ يـابِسَةٍ، والـرِّيحُ نثرتْ شَكْـوَى أُخْرَى، أيْقَظتْ فينَا الرَّغْبَةَ، علَيْنَا مِنْ وراءِ الجِبالِ يَفِدُ ضَوْءٌ، بـالنَّدَى غَمـرنَا اللَّيْلُ، تَقـاسمْنَـا فَواكِهَنَـا، وحَوْلِيَ طَـافتْ، معْبُـودةٌ، وثَنِيةٌ، غَنَّتْ، بِصـوْتِ طِفْلَةٍ، مَشْهـداً مِنَ الآلاَمِ، رَفَعَتْ وهْيَ تطُوفُ أحْجاراً مُستقِيمةً ملْساءَ، وَدَعَتْنِي لِتَقْبِيلِهَا، لِلَمْسِهَا، ولِكُلِّ نَـذْرٍ أشهَرتْ إيمَانَهَـا، شَفتانِ على شَفَتَيْنِ، نِيرانُ جَسدينَـا، نَادتْ علَى الضَّوَاري، ظبيـةٌ صهْباءُ، عِجْلةٌ رَقْطَاءُ، حَنَّاءٌ علَى ظَهْرِهَـا، عينَاهَا، مِنَ اللَّيْلِ، اخْتَرعَتْ فِي قَلْبِ الصَّحْراءِ، مَرْعَى فيهِ تَقْفِـزُ، قَبْلَ أنْ تَعُودَ، وفِيرةً، إلَى المَدَارِ المُغْلَقِ لِحَديقَتِنَا، تلْكَ كـانتْ لَيْلَةَ التَّحَوُّلاتِ، حيثُ

الأَشْكَـالُ تتحـرَّكُ وَتتغَيَّـرُ، وَكُنْتُ أَحْسَسْتُنِي قَـادِراً عَلَى اسْتِقْبَـالِهِنَّ جمِيعـاً، رأَيْتُنِي تَـائِهـاً فِي بِـلاَدٍ، أَتَهَجَّى جميعَ اللُّغَـاتِ، أَلمسُ كُلّ الكِتَابـاتِ، أَدخُلُ وأَخْـرُجُ، فِي صُدْفَـةِ اللِّقَـاءاتِ، مِنْ مَشْهَـدٍ إِلَى آخـرَ، مُعْجَبـاً بِـأَثَـرِ الشُّعُـوبِ، مُسَـافِـراً فِـي الـزَّمَنِ، شَـارِداً، مُتَبَـدِّلاً، مُتَغَيِّـراً، فِي مـرآةِ التَّحوُّلاتِ، عندَ مصائِرِ العِشقِ، مُحَرِّكِ العالمْ.

(13)

عُراةً، مُنْطرِحينَ علَى الأرْضِ، مُعْتمينَ وفَارِغينَ، بعْدَ رِحْلةِ الـرُّؤْيَـا، عَائدِينَ إلَى العَـالَمِ، حَـاضـراً، دُونَ فِعلٍ، رأيتُ مَوْكِباً يتبدَّلُ، الفـرسَ، بطيئاً، يجْري خلْفَ العُنُقِ المتلاشِي لِلْـوحْشِ، يتقَنَّعُ جَامـوسـاً، ثُمَّ ثـوراً، تُقَاومُ الصـورةُ الاسْمَ، نَعامةٌ كثيفةُ الرِّيشِ، سُلحْفاةٌ بحْـريةٌ تَطيرُ، نَسْرٌ يتَّلفُ حَدَبةَ الجَملِ، مُفاجآتٌ بطيئةٌ وزرقَاءُ، تتمـدَّدُ مِدْخنةً، علَى شَاشَةِ عينَيَّ، السَّمـاءُ أرضُ الظِّـلالِ البعيـدَةِ، فِي آخِـرِ الغَسَقِ، تتـأهَّبُ القَافِلـةُ، ثُمَّ عبْر الشُّرْفـةِ تـدخُلُ الصحْراءَ، لحظـةَ النُّجُومِ الأُولَى، بينَ آثَارٍ، تأسِرُهَا مَرايَا البَرْدِ، خلْفَ زُجاجِ النَّافِـذةِ، يترقْـرقُ ضوءٌ شَتْوِيٌّ، أَصْـواتٌ سريعـةُ الانْكِسارِ، زُهورٌ تثقُبُ نسيجَ الضَّجيجِ، حِجابُ الأرقِ علَى المدينةْ.

(14)

كنتُ أَمْشِي في متَاهَةِ الصباحِ، راعِي الشّتاءِ يرصدُ طوافَ الذّئابِ، طائِرٌ أسودُ كانَ يُغَرِّدُ فوقَ السَّبجِ، أَسْودٌ علَى أَسْودَ، لمْ يفارقِ اللّيْلُ النّهارَ، كنتُ أخْدَعُ القبْوَ، أرافِقُ الميتْرُو، الأَسَدُ حارسُ السَّاحَةِ، علَى أرْضِهِ يغفُو، والسيَّاراتُ أَراجيحٌ، تَنانينٌ تقَذِفُ النارَ منْ مناخِيرهَا، كانَ رأسِي ينْحلُّ فِي ضَجيجِ المُسْتنْقعاتِ، أَعْصابٌ متوثّبةٌ، مِرْآةُ القلْبِ، قوْسٌ يَتوجَّهُ نحو السَّاعةِ الحائطيَّةِ، عندَ مدْخلِ المحطّةِ، فِي السَّاحةِ الصغيرةِ ظهرتْ لِيَ الفتاةُ، بِشَالٍ منَ الذَّهبِ، قُفطانُهَا حريرٌ، أُرْجُوانيٌّ، مِنْ أَصْفياءِ العَاشقينَ، شَعْرُهَا المجْدُولُ يضْربُ الوركيْنِ، مُنتصفُ النَّهارِ يدقُّ وكأنَّهُ مُنتَصَفُ اللّيلِ، دعَوتُها لِشُرْبِ نبيذٍ شَماليٍّ خفيفٍ، مرحٍ وحارٍّ، يداهَا طويلَتَانِ كيَدَيْ جِنّيَةٍ، مُرصَّعتانِ بالخواتِمِ، تنْعكِسانِ على سُحْنةِ النَّبيذِ، رائحةُ الكِبْريتِ، دعَتْنَا لزيارةِ الغُرفِ الزَّرْقاءِ، فِي قصْرِ التماعَاتِ، رأيْتُ لطْخةً بيضاءَ، خلفَ حِجَابِ ساطعِ الفِضَّةِ، حيثُ العينُ، مذاقٌ مُرٌّ،

كـانتْ تَتـدحْـرجُ، ذلِكَ ما أيْقـظَ، أثَرَ الصَّحْـراءِ، مُقْفِـراً، كِيمْياء ُمِنْ غُبـارٍ، على الورَقَةِ الطَّـاهِرةِ، كانتِ القَافِلـةُ تَنْتظِرُ قُدومِـي، لِتعْرِضَ أعاجيـبَ العَالَمِ، مَعـادِنَ إفْريقْيـا، أقْنِعَةَ الهُنُودِ الحُمْـرِ، تَماثيلَ منَ الصِّينِ، مِسلاَّتٍ عربيـَّةً، طُيُوبَ الجُزُرِ، رَقٌّ تَترِيٌّ، تحْتَ ثِقَلِ السَّعْفاتِ، أفْتحُ عَيْنَيَّ، مِنْطادٌ يُحوِّمُ فَـوْقَ المدينـةِ، ظِلالٌ سَـاكِنةٌ، فـوْقَ بياضٍ مَشُـوبٍ، والنَّوَارِسُ، مِنْ أعْلَى مَـوْجاتٍ صَفْراءَ، بعيداً عَنْ حَـوافِّ نَهرٍ رمَادِيَّةً.

(15)

ارْتَقِ الـدَّرجـاتِ خَطْـوةً خَطْـوةً، مِنَ الأعْلَى، لاَحِظْ خَلْـواتِ الصَّحـراءِ المهْجُـورةَ، أَعْمِدةٌ مِنْ رُخـامٍ، بَعْضُهَـا مُنتصِبٌ، زَخارِفُ المداخلِ مُخَـرَّمَةٌ، هُناكَ ترْعى غِـزْلانٌ، ضامِراتٌ، نحِيفـاتٌ، حـذِراتٌ، مَـذْعُـوراتٌ، عُـروقٌ تحتَ الجِلْـدِ مُـرْتجِفـاتٌ، ثَوْبٌ مِـنَ العَرَقِ، لَهْـوَ صبـاحُ الحُمَّى، تُبـايِع السَّماءَ، فِي وميضِ النَّهارِ، حركـةُ الكواكِبِ تبْدُو لكَ، أَنْتَ حارِسُ حـديقةٍ تتدلَّى خُضْـرةً، تُخاتِلُ تبدُّلَ الفُصُـولِ، تَقْرأُ بالعَيْنِ المُجَرَّدةِ مَا فِي السماواتِ، وتُنْقِذُ الغِزْلانَ، مِنْ دُمُوعِ الجُرْحِ، لاَ تُنْكِرْ كلِمةً، وجَّهَتْهَا غَـزالةٌ إِلَى مثِيلاَتِها، اللَّيلُ، تقـولُ لهنَّ، نحْنُ وُجُوهٌ مُـحِيبتْ لِلشَّمْسِ، بياضُنَـا المُخْتَفِي يُضيءُ، كـالزَّبـدِ، حُبـاحِبٌ هَارِبٌ، ذاكَ الـذِي ينْطَفِئُ علَى ثَـدْيٍ أَبْيَضَ، يكـادُ يكـونُ مَسْتـوراً، تحْتَ ظِـلالِ أَشْجـارٍ، تَرْتعِدُ أَغْصانُهَا، تعْكِسُ أَضْـواءً وظِلالاً، عَلى طبقةِ الحديقةِ المشْرقةِ بابْتِسامَاتِنا وكأَنَّهَا ومَضاتٌ ليلِيَّةٌ.

(16)

يومٌ أسودُ، ينقرُ المَطرُ الزُّجَاجَ، إليْكَ تأْتِي الملائكةُ البَاكُونَ، مَجْدَ الغيابِ يغنُّونَ، مَوْجةً بعْدَ مَوجةٍ، إلَى الداخِلِ يقْذِفُ بِيَ الإِلْهامُ، فلاَ أَسْتطيعُ تَرْديدَ مَا أَسْمَعُهُ، يتوقَّفُ الصَّوْتُ الغيْرانُ عندَ عتَبَةِ الكلامِ، ينْفُخُ الملائِكةُ في الصُّورِ ويطْردونَ المطرَ، هَا أنْتَ تخترقُ الغُيومَ، كَوْماتِ قُطنٍ، ثُمَّ علَى الشمْسِ تعثُرُ، فوقَ غِطاء معْدِنيّ، مُزدَرَعٌ قَمرِيٌّ، فِي صُدْفَةِ الضَّغطِ، تتذَبْذبُ مَقصُورةُ الطَّيَّارِ، وتُعَدِّلُ رَفْلاتِهِ وَقوادِمهُ، نَفْخُ الملائكةِ ينْفُذُ من صَلبِ المُحرِّكاتِ، ومنْ منافِذِ الطائِرةِ، يُحدِّقُ فِيَّ أطْفالٌ ملائكةٌ يَمْرحونَ، أقْراطاً شَقْراءَ، تَنْهمِرُ دُمُوعُهمْ، والرُّوحُ فيهم قَطراتٌ من الجواهِرِ، روحٌ مُرْتجَّةٌ، فِي أيِّ شيْءٍ تتجسْدنُ، لرُبَّما كانتْ تَغْشَى الحَجَرَ، جامِدةً، لا مُسَمَّاةً، أتعَرَّفُ عَليْهَا فِي قَلْبِ القَلْبِ، فِي دُموعِ الحبيبةِ، لا يبْقَى غيْرُ الأَسفِ، أَسفِهَا غَامِضاً، لَكنَّنِي مُترقِّباً كُنتُ، كانَ لِقَاؤُنَا يُمجِّدُ الفُقْدانَ، والهَمُّ، بيْنَنَا نحْنُ معاً، كانَ يمْشِي، حيناً كانَ رقِيبٌ يظْهَرُ، حيناً

يَختَفِي، بدخيلَتِي كانتْ حُـرْقَة تَلْمعُ، حبَّةُ رمْلٍ تقتُلُ العيْنَ، دَعتْنَا القبيلـةُ إلَى المأدُبةِ، لكِنَّ الحُرْقَـةَ كانتْ مانِعَـةً، خيَامٌ تَملأُهَـا النِّعْمةُ، والرُّؤْيةُ تُفْقِـدُ الشهِيَّةَ، تُفضِّلُ الغَزالةُ مَـوْتاً، علَى أنْ تَكــونَ في قَبْضَـةِ المَصيــدةِ، كُنتُ أُخْفِي دَمْعتِي، مُسْتقيمـاً بينَ الــرِّجَـالِ كنتُ أَمْشِي، فِي سِـــرِّيَ أُنْصِتُ إلَى الـوردةِ الموْدُوعـةِ فِي القَلْبِ، فـوْقَنَا كـانَ الغُرابُ يُحَـوِّمُ، ثُمَّ يَحُطُّ علَى الهوائيَّةِ، ناعِقاً، ضارباً بجناحيْهِ، صوتٌ أَسْودُ لَمْ أَسْتطعْ إلْغَاءهُ، بِسُرْعَـةٍ غَادرْتُ الأَمْكِنَةَ، مُتدَحْرِجـاً عِنْدَ قَدَمِ الشَّمْسِ، علَى إيقـــاعِ الحَصَـى، كنتُ أَقُــولُ، أبــداً، إلَى صَحْراءَ كهـذِهِ، لنْ أعُودَ، وهَـا أَنا عَائدٌ عَبْـرَ السَّمَاواتِ، لاَ فِراقَ يُوقِفُ الحُبَّ، بلْ يقْتُلُ، تُغَنِّي الملائكةُ، فِي الغيابِ، لا يتكدَّرُ الجَمالُ، حيثُمَا يتجسْدَنُ، يسْتمِرُّ جَمالاً، كما هو، في الفِكْرِ، لاَ مُغَيِّـرَ لهْ.

(17)

يُشِعُّ ضَوْءُ الشُّروقِ، يبزُغُ النَّهارُ، إنَّهُ الكشْفُ، غَربٌ يَظَلُّ مُعْتِماً، بِمُحَاذَاةِ القَمَرِ، قَرصاً شَاحِباً، فِي انسكابِ اللَّيْلِ، بُخَارُ الفَجْرِ يتَصاعدُ، لَمْعةٌ تُخْفِي عنكَ صُروحاً، تُؤبِّدُ ذِكرَى الموْتِ، فَوقَ رُمُوزٍ كهذهِ، تَجْرِي رياحُ الشَّرقِ، تُوشوِشُ برِسالاتٍ غَريبةٍ، أبعدَ مِنَ العَذابِ، مِنَ الشَّجَنِ، نُقطةٌ تبْلُغُ شَطْحاً يَحْصلُ بَعْدَ جيشَانِ الدخِيلةِ، تخْتطِفُ السَّكْرةُ الرُّوحَ، علَى مرْأى منَ القَمرِ المُدوَّرِ، مُنْخَرِماً في نُثارٍ مِنَ الدَّمِ، فِي الجِهَةِ المُقابِلَةِ تَرتفع الشمْسُ، هذا التوافُقُ هَالِكٌ، علَى صَدْرِكَ يخْفِقُ النَّهْدُ، الأنْفَاسُ المُخْتلطَةُ تَهْدأُ، والنَّهارُ يَكْبُرُ، ورياحُ الشرْقِ تُؤَجِّجُ نِيرانَ الأَجْسَادِ، أَوْ تُطْفِئُهَا، فِي الاتِّحادِ، تَسْكنُ الحبيبةُ، بينَ قَيْدِ الحياةِ فِي الأَثَرِ السِّرِيِّ وبيْنَ المحْوِ فِي الآنِ، رَمادٌ تَرْفعُهُ الرِّياحُ، عواصِفَ عواصِفَ، فَوْقَ فِضَّةِ مياهِ النَّهْرْ.

(18)

تَعْبرُ ساحةً بيْضويةً الشَّكْلِ، مَسرحٌ فِي صَدَفَةٍ، علَى دِمَقْسٍ أَخْضَرَ انعِكَاساتُ الذَّهَبِ، تعْثُرُ الأَجْسادُ علَى طبيعَتِهَا، حَمَّامٌ مِنَ الطينِ الأَحْمَرِ، عَلَى حافَّةِ النَّافُورةِ، يُحْرِقُ الماءُ السَّاخِنُ، تَراتيلُ، فِي حركتِهَا الأخيرةِ، تُوَقِّعُ تبادُلَ الأَكاسيرِ، أَجْساداً، ساقِطةً فِي الاسْمِ، مُوتوا قبْلَ المَوْتِ، لُوذُوا بِظِلِّ القاهِرِ الجبَّارِ، ثُمَّ إِلَى الحياةِ عودُوا، وُجُوهاً أرْجُوانيَّةً، فِي الجَسَدِ، الدَّمُ والنَّفَسُ دائِرانِ بِسُرْعةٍ، عندَ الفجْرِ، يَخلعُ عليْهِ الفَتَى خِرْقَةً مِنْ حريرٍ، مَرْفُولةً زُمرُّداً، قطيفَةً كالمساءِ، وقْتاً مِنَ الياقُوتِ، لَقَدْ طُوِيَتِ الخيامُ، استعْداداً للرَّحيلِ، سَفرٌ ليْلِيٌّ، تَخُطُّ النُّجُوم الطريقَ، فِي فَيْءِ بُقْعَةِ النَّهارِ، فِي إِسْرافِ الحَواسِّ، لا يَسْتطيعُ الحركةَ، مُنْذَهِلاً، جاحِظَ العيْنيْنِ، خارجاً مِنْ ذاتِي، رائياً نفْسِيَ آخَرَ، فِي مَشْهَدِ السَّكينةِ، لاَ أَحَدَ يَقْدِرُ علَى الاقْتِرابِ، أَبْعدَ منَ المبْدإِ، الذي يأْمُرُ بِأَنْ أتمالَكَ، فِي القَلْبِ دُوَارٌ، كَيْفَ قُبالَتِي أَراهَا، عَيْنَاهَا تُدوِّيانِ بِلَحْنٍ مُتَسَلِّطٍ، صَوْتُ الكواكِبِ يصِمُّ

الأُذُنينِ، أَشْـربُ فيها، مَـا دُمتُ عَطْشـاناً، مَـرْكبٌ مِنْ دونِ مِقْودٍ، تتقـاذَفُهُ الأَمْواجُ، انهَضْ، كُـنْ سَيِّدَ جَسدِكَ، تَـدثَّرْ، كَلِّمْهَا مِنْ وراءِ سِتـارةٍ، لاَ تُلْقِ عيْنَيْكَ فِي عيْنَيْهَا، ادْلِفْ إِلَى داخِلِكَ، فِي الفِراقِ، انْتَظِـرْ زِيارةَ الصَّبـاحِيِّينَ، وأَهْلِ القِيامِ فِي اللَّيْلِ، تَمتَّعْ فِي ظِلِّ أَجْنِحتِهِمْ، أَلْوانـاً أَلْفاً، اسْتقْبِلْ رُؤْيَا هَارِبـةً، بَعْدَ بُرْهَـةِ الحُمَّى، تُضيفُ لِلرُّؤْيـةِ رُؤْيةً، لأجْلِ أَنْ تسْتيْقِظَ على نَعيقِ الغِرْبانِ، سماواتٌ حَالِكةٌ وضَالّةٌ، مَرْقُومةٌ بينَ الظُّلُماتِ والسَّمـاواتِ، حشْدٌ مِنْ سَوادٍ يَطيرُ فَـوقَ النُّوقِ البيضـاءِ، علَى حافَّةِ الصَّحْـراءِ، فضاءٌ فارغٌ، أَرْضٌ مُسْتويةٌ، خشِنَةٌ، سَهْبٌ فيهِ تَنْكتِبُ الأَصْواتُ السَّوْداءُ.

(19)

مَحْمُولاتٌ عَلَى مِحفَّاتٍ، دُمْياتٌ شبيهاتٌ بالنِّساءِ، تَعْلُو الصَّوارِي وتنْخَفِضُ فِي فَجْرٍ، هُوَ امْتِدادُ الصَّحْراءِ، حَقْلٌ مِنْ أحافِيرٍ، تَجْويفاتٌ وأَخَادِيدُ القَمَرِ، قَناديلٌ وأَصْواتٌ، عَهْدٌ يُرسِّخُ القُلُوبَ، حَركَةٌ ضَالَّةٌ، تُهْدِيني عُنْقُودَ عِنَبٍ أَسْودَ، والدُّمُوعُ المَحْبُوسةُ تُؤَجِّجُ الزَّوْبَعةَ، فِي الدَّاخِلِ تتغطَّى الشَّمْسُ، عنيفَةٌ هِيَ الحُنْجُرةُ، عاصِمةُ الهِبَةِ، علَى حافَّةِ أَرْضٍ، مَحْروقةٍ، فيها تُواجِهُ الخَطَرَ، أَدَعُ وارِداتِي، وفِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَى وَجْهَها، فِي الظُّلُماتِ، فِي الضِّياءِ، فِي الحاجِزِ، فِي الشَّفَافيَّةِ، حامِلاً قِنَاعي وَحِجَابِي، ولاَ مانِعاً لِلرُّؤْيَةِ، مِنَ الفِراقِ إِلَى البَدْءِ، مُعَقَّداً أَطُوفُ العالَمَ، طائرُ الفَريسةِ، يحُومُ فَوْقَ الهَضَبَةِ، ذَلِكَ ما يَمْنحُ شَجرةَ الطِّيبِ جَناحَيْنِ، يلْسَعُ الصَّمْغُ اللِّثَةَ حتَّى تَدْمَى، حامِلاً قَطيفَتَهُ، فِي اللَّيْلِ الهادِئِ، يتأَوَّهُ المُنْفَرِدُ، يُرْخِي الحَصَى السَّاحةَ الشَّاسِعةَ، لِلْخَطواتِ صريفٌ فِي الليْلِ الغَيْرانِ، يُفْتَقَدُ اللِّسانُ ، أَليفُ اللَّيْلِ، شَكْلُكَ يَسيلُ، حِمَماً مُتَوهِّجَةً، تتجَمَّدُ لَحْظَةَ العُبُورِ، مَعْبَدٌ

مُظْلِمٌ، فِيـهِ نَسْمَعُ مُقْتَطفَـاتٍ مِنَ الطُّقُـوسِ، علَى مُنْقَلَبِ اللُّغَاتِ، بَعْدَ أَرْبعين ليْلَةً، جِـيءْ، دُقَّ البابَ، اعْبُر المَجازَ، بيْنَ القُبُـورِ، اعْبُـرْ طريقَ الغُـرْفَـةِ المُسْتَطيلَـةِ، انزِلِ الـدُّرَجَ السَّبْعَةَ، سـأَنْتَظِرُكَ فِي أَقْصَى الحـديقةِ، فِي الكُـوخِ، علَى مَقْـرُبَةٍ مِـنَ المَنْبَتِ، الزُّجَـاجِيِّ، لاَ تُكَلِّمِ الحَـارِسَ الشَّيْخَ، تَعرَّ، ضَعِ الفُـوطةَ المُزيَّنَـةَ بِحُروفِ أُومْ، لاَ تُكَرِّرْ شَيْئـاً مِمَّا حَفِظْتَ، بَلِّلْ شَفَتَيْكَ بـالكلِمـاتِ الجـدِيـدَةِ، اقْـرأْ بِصَـوْتِ الـوَحْـيِ، لاَ تُـأَوِّلِ المعْنَى، ولْيَكُنِ الـوَقْت عَطَشَكَ، اقْطَعْ مَراحلَ الـرَّفْضِ، اقْذِفْ بِصَـرْخَتِكَ عِنْدَ صَدَى الحَيـوانِ، يَا راعِيَ النُّجُومِ، أَيُّها النَّديمُ اللَّيْلِيُّ، بيْنَنَا يتكلَّمُ العِشْقُ، يَسِيلُ الخَمْرُ، أَسْهَرُ معَ التي، تـرْقُدُ تحْتَ الوميضِ، تُغْلِقُ العيْنَ، وتنامُ مـعَ المَوتَى، ثُمَّ تبْعَثُ أُخْتـاً لِلنَّبيذِ، المُنْعِشِ لِلـرُّوْيَةِ، وَقْتَ اللِّقاء بالشَّمْسِ، والقَمَرُ المُتأَخِّرُ، نَبْعٌ لِلْحَواسِّ.

(20)

وَأَنْتَ يَا تَائِهُ، لاَ تَسْتَعْجِلْ، رَاوِدِ الـوَقْفَةَ، فـالزَّمَنُ فِي الأَثَـرِ يَتجمَّدُ، قِفِ، انْظُـرْ مِنْ قريبٍ إلَى تَجاعِيـدِ النُّتواءاتِ، ارْفَعْ أَكْمَـامَكَ، أَنْصِتْ إلَى الصَّـوْتِ الحادِّ، ادْلُكِ الغـرينَ الـذي يَصْقِلُ الأَجْسادَ، ولأنّي أريـدُ وَضْعَ القَدَمِ، فِي مـا يَرِدُ علَى الفِكْرِ، فـالرَّجُلُ لاَ تَتبعُ، صوتٌ يُـدَوِّي، يَفْسُدُ التَّنْغِيمُ، إنْ هِيَ لَمْ تُـوحِ بالنَّشيـدِ، فَغَيِّـرِ الاتِّجَاهَ، عَـرِّجْ علَى اليَمينِ، علَى ضِفَافِ الـوادِي، سَتَعْثُرُ فِي الصَّمْتِ، فـي الحِوَارِ، فِي القَطِيعَـةِ، فِي عَوْدَةِ الصَّمْت، عَلَـى شَعْبٍ، لاَ يَنْتظِرُ شَيْئـاً، مَحْفُـوراً فِي صُلْبِ البؤسِ، هَلْ أكُـونُ غَريبـاً، بينَ السِّلَعِ، ضـائعاً فَـوقَ التُّرابِ الأَحْمَـرِ، مِنْ وادٍ مُرْتَفِعٍ كَهَـذَا، حيْثُ الماءُ يَترقْـرَقُ، بيْنَ الخَمائِلِ الخضْراءِ، عِنْدَ حَـدِّ قُصُورٍ مِنَ الطُّـوبِ، عِنْدَ فَتْحـاتِ النُّسُـورِ، وحِيـداً، فِي بَلَدِ البِغَـالِ، باحِثاً عَنْ مَجْهُولَةٍ، تَتَهَجَّى اسْمِي، علَى عَتَبَةِ الأَسْفَارْ.

(21)

بُيوتٌ فَارِغاتٌ، نَوافِذُ مخْلُوعَاتٌ، رَمادِيُّ السَّماءِ، حَيٌّ خَرِبٌ، يَومُ أَحَدٍ لاَ نَفْعَ فيهِ، رؤُوسٌ مُهَاجِرَةٌ، بينَ الدَّهَاليزِ مُدَمَّراتٌ، والأَبْوابُ مَسْدُودات، لُغاتُ بابِلَ، تُقَسِّمُ الإِنْسانَ نِصْفَيْنِ، شَبحاً تحْتَ ظِلِّيَ أَمْشِي، أَتَربَّصُ سَراباً، بِاتِّجَاهِ تَواضُعٍ نبيلٍ، أَمُرُّ عبْرَ حَواجِزِ الجَريمةِ، علَى لافِتَةِ المُسْتَشْفَى، علَى الآجُرِّ الأَحْمَرِ، علَى شِعَارِ الدَّعْوةِ، علَى ثَوْبٍ مِنْ بُخَارٍ، لَونُ الأَمراضِ تَقْذِفُهُ المداخِنُ، غِيابٌ عنِ الذاتِ، فِي الطَّريقِ المُؤَدِّيَةِ إلى حيْثُ الشَّرابُ، ماءُ الحياةِ، الذي يَرْتِقُ شُقُوقَ الشَّفَتيْنِ، بينَ الأطْفَالِ الوَسِخينَ، والحقَائِبِ ذات الورقِ المُقَوَّى، فَوانيسُ مُكَسَّرةٌ، علَى مَسارِ المدينةِ، ريحٌ حارَّةٌ تُشَوِّهُ، شَررُ الرَّمْلِ يقْطَعُ، طاقةُ انْشِطَارٍ، ذَوبانُ المحطَّاتِ، سِكَكُ الحديدِ، تتَراخَى، مِنْ فَوقِ الجُسُورِ، قِلاَعٌ عاليةٌ تَخْسِفُ، هَواءٌ مُتَوهِّجٌ يُحْرِقُ الأَحْشاءَ، يَحْتَلُّ المدينةَ فُقراءُ لا تَعْرِفُ مَنْ هُمْ، رائِحةُ الكِبْريتِ، تأْسِرُ الحُنْجُرةَ، تَمُرُّ الرؤْيَا عبْر السَّدَّادَةِ، عَبْر ثُقْبِ الإِبْرةِ،

وَجْهِي، كَبَّةُ نارٍ، تُغَيِّــرُ شَكْلَهَا، سُحْنَةُ أَبْناءِ الجبـالِ، مُلَوَّنَةٌ بريحِ البحْرِ، مِنْ تَحْتِ أيِّ أنقـاضٍ سَتَسْتَرْجِعُ خَيالَها، وفِي أيِّ نِسْيانٍ سَتُكَلِّمُهَـا، مِنْ خَشَبٍ أَوْ مِنْ حَجرٍ، علَـى الطُّرُقِ خارِجَ الأَسْوارِ، نَحْوَ صَحْـراء تَسْتَقْبِلُني، علَى إيقاعِ النُّوقِ، تَنَبُّحُ الكِلاَبُ فِي الظُّلْمةِ، أَثَرُ الرَّمادِ يُشيرُ إلَى الحبيبَةِ، علَى جُـدْرانِ اللَّيْلِ، مُتَكِئَـةً مِنْ غَيْـرِ حِـرَاكٍ، بينَ صُبَّـارٍ، عِنْـدَ الخُـروجِ مِنَ القِيـامـةِ، بِنارِهـا أَتَفَيَّـأُ، وأُلاطِفُ أَشْبـالاً بِهَـا مُرَقَّطةً تُحيطُ.

(22)

أُنصِتُ إلَى منْ لاَ صــوْتَ لهَـا، بحْثـاً عنِ البقـايَـا، تَمُـرُّ الفُصُـولُ، تنْهـدِمُ المنـازِلُ، ضَـاحِكـاً كُنتُ، قبْلَ أَنْ أَكُـونَ عَبُوساً، يَضيقُ السَّهْلُ الواسِـعُ، بيْنَ الأَعْمِدةِ كَبُرتِ الأَشْياءُ، فِي غَفْلـةٍ عَنِّي، لَمْ أكُنْ حَـارِسَهَـا، كُنتُ سَـأُطـاردُهَـا، بينَ إسْرافٍ وبُخْلٍ، بَصقْتُ، جَلسْتُ علَى زَرابِيَ تُخْفِي تَشقُّقَاتِ الأَرْضِ، خَيـالاتُنَـا مَغْمُـورةٌ، فِي المنــازِلِ الفـارِغـةِ، تَفْتَحُ الطَّـواوِيسُ النَّهـارَ، تَطيـرُ الأَجْسَـادُ، معَ الأَرْواحِ جَنْبـاً إلَى جَنْبٍ، بيْنَ لَمْعـةٍ وَسَحابـةٍ، تَسْتـديرُ القِبَـابُ، عِنْد صُـراخِ العَاشِقينَ، تَزْحفُ الرَّغْبةُ، بينَ القُبورِ البيْضَاء، راياتٌ مُلْقاةٌ، علَى الهَضَبةْ.

(23)

أَرَى قَلْبِي يدُقُّ، فِي قُمْقُمٍ، تَدْمَى وَجْنتايَ، بينَ العالَمينْ، شجَرةٌ مُنمْنَمَةٌ توقِظُ الظِّلالَ، فِي حِضْنِ فَتاةٍ لَعُوبٍ، معَ البنَاتِ، بلبَاسِهَا الأَبْيضِ تَطوفُ، جَسدِي، فِي كُلِّ مَسَمٍّ مِنَ المَسَامِّ، يَحْفِرُ، أُرحِّبُ بزِيارَةِ الشَّمْسِ، تَنبتُ في شُرْيانِي حديقَةٌ، ينْمُو الجَمالُ، فِي شَبابٍ مُضاعفٍ، مُكَعَّبٍ، تَنْهضُ الراقِصَةُ، آنَاءَ اللّيْلِ، وتُهْديني جَسَدَها، الفارِغَ، أَهْصِرُهَا، علَى سَريرِ مَرَضِي، فِي جوْفِ غُرفةٍ، عاليَّةٍ وضيِّقَةٍ، عِنْدَ هَيْنمةِ خطِّ الطُّيُور، نَمْلٌ، مُغْمداتُ الأَجْنحةِ، كواسِرُ، إحْليلٌ، تاجٌ، غَشِيَني الدَّاءُ، بِبَياضٍ مَرْمرِيّ، إنَّهَا نَدْبَةٌ، جَعلتْ مِنِّي فَزَّاعةً لاَ قُدْرةَ لهَا علَى التَّمْويهِ، أَجُسُّ فَرْجاً مُحْمَرّاً، ذَهبُ عِقْدهَا يلْتفُّ علَى عاتِقِي السَّوْداءِ، هَا نارٌ تُضيءُ، فِي قَعْرِ القَبرِ، وجْهٌ بالزَّبَدِ مدْهونٌ، هواءٌ خانِقٌ، فى الصَّمْتِ، أَسْمعُ جلبَةَ الأَجْسادِ، تَظهَرُ الطُّمأْنينةُ، وهْيَ تَشُمُّ دَماً مُتخَثِّراً، يَعتَقِلُ دائي، تبْدأُ النَّقاهَةُ، فى فَوْضَى اللّحافِ، هُناكَ، بيتُ الأَسْرارِ، فَوْقَ الرِّمَالِ أَكْتُبُ، عِنْدَ ثَلْمٍ

الإِحْساسِ، أُمزِّقُ الصُّورةَ المحْمُولة في القلْبِ، أَفْتحُ أَزْرارَ بذلةِ، تشدُّ صَدْرِي، تَضْرِبُ الشَّمْسُ، حُرَّةَ ومُرغَمةً أَجْوفَ الطينِ، الرَّخْوِ، كيمياءٌ زرقَاءُ تُلوِّنُ أَصْواتِي، أُدوِّنُ حُروفَ العِشْقِ، أَخْترعُ لِي كُرْسِياً، خلفَ الحِجَابِ، مُخْفِياً تلكَ التِي، فِي دائِي تَتُوهُ، بنْتُ ملِكٍ سَفَّاحٍ، أَعْطِسُ، والنَّفَسُ يَضْرِبُ العمودَ الفِقَرِيَّ، المُتَّقِدَ نيراناً، نَحْوِيَ تُقْبِلُ، مُتأَكِّدَةً مِنْ جَمالِهَا، بِلوْنِ صَهْبَاء تتَلألأُ بِرُوحٍ هاربَةٍ، وأَنَا مُرْتَوِخَمْراً، أُعَرِّيهَا، تَنْطَفِئُ النُّجُومُ، بينَ الجُرْحِ واللَّمْسِ، أَعُودُ إِلَى الدَّاءِ، الذي تُضاعِفُهُ شَفتَاهَا.

(24)

قُماشٌ مَنْ حـريرٍ، هَـدِيرُ البَحـرِ، تِلْكَ السَّرْوَةُ شَمْعـةٌ، فيها يَحتـرِقُ الشّعـرُ، جَملٌ هُـوَ الجبلُ، يفْـرغُ أثقَـالَـهُ، تـرِنُّ الخُطُواتُ علَى البِلاَطِ، وتنقُرُ السَّحَابَ، أدعُوهَا إلَى السَّفرِ، عِنْدَ ظِلِّ تِينَةٍ، قُبالَة البرْزَخِ، حاجِزٌ، علَيْهِ الرُّوحُ تسوخُ، فِي مقَدِّمةِ المَرْفَإِ، فِي انتظَـارِ مَرْكبٍ، مُنْكَفِئاً وسطَ اللُّـجِّ، عِنْدَ حافَّـةِ العاصِفةِ، يَسْتجْمِعُ البحرُ أمْـواجهُ، تتأَخَّـرُ النُّجُومُ فِي تَثْبِيتِ الفَجْرِ، النَّوْرسُ جَزيـرةٌ تتقدَّمُ، والصَّارِي جذْعٌ ينُوحُ، تنْهَضُ العـاشِقـةُ، معَ النَّهـارِ، تَنْظُـرُ عبرَ نـافِـذَةِ المـرْكَبِ، تَغْتَسِلُ فى الزَّبَدِ، وتتلحَّفُ بزُرْقَةِ سماءٍ تُضيءُ بِبيَاضِهَا.

(25)

النَّاجُـونَ مِنْ ليلِ السُّهَادِ، يَجْمعُونَ الحصَى والجَواهِـرَ، عِنْدَ بُـزُوغِ الفَجْـرِ، تَطيـرُ رايـةُ اللَّيْلِ، يغُـادِرُ الشَّعْبُ الأخْفَشُ النَّهارَ، هُوَ الصَّباحُ نَسْرٌ مُزَيَّنٌ مزينٌ بالحُروفِ، أشْخاصٌ فُصَحاءُ، كُتَّـابُ الرَّغْبَـةِ، يَحْمِلُ الغرِيـبُ علامـةَ السَّمَكةِ، فِي ثَنيَّـاتِ الحُرْقَةِ، هُنـاكَ فَوْقُ، ينْتظِرُ المَوْتَ، فِي مَنْظَـرٍ مُقْفِرٍ، يَسيلُ الماءُ، فِي مَجْـرًى مِنَ السَّكاكينِ، تَهْجُمُ الرَّائِحَةُ النَّتْنَةُ على زائِرٍ، يتـرَدَّدُ علَى اللَّيلِ البهيمِ، السَّـاهِـدونَ ينْشُـرونَ مِسْكَ الصَّبـاحِ، مَخْمُـورينَ، تلْتـوِي الغُصُـونُ تحْتَ أنْفَـاسِ السَّـاهِرينَ، ملْعُـونينَ، طـائِشينَ، مُحِبِّينَ بلاَ مَحْبـوبِ، فِي الصرْخَةِ غَارِقينْ.

(26)

علَى الآثَـارِ المنْسيَّـةِ، فِي الأَمْكِنـةِ اللامُسمَّـاةِ، أَرَى جَـوْقَـةَ النَّـادِبـات البَـاكيَات، علَى الضِّفَـافِ الجَنُـوبيَّـةِ، أَنْظُـرُ إِلَى المَنازِلِ الدَّارِساتِ، فِي الصّباحِ النَّدِيِّ، أُعْجَبُ بِتِلْكَ، التي تَحْمِلُ قِناعَ الأَلَمِ، يَعْبُر الميِّـتُونَ الجُسَيْرَ الأَسْودَ، ويَقْطِفُونَ فَواكِـهَ الصَّمْتِ، يُظَلِّلُ المطرُ الضَّوءَ الـرَّمادِيَّ، قُلتُ، بَلَى، سـآتِي، بِـلاَ خُـدْعَـةٍ، ولا دِرْعٍ، كَـذلِكَ أَجَبْتُ، تِلْكَ التِي كَـانتْ تتكَلَّمُ، بِقَلْبٍ مَخْطوفٍ، مُطارَدٍ، فِي العـراءِ، علَى السَّهْلِ، كانتِ الرياحُ الأربعةُ تحْمِلُ رسائِلَ مُتناقِضَةً، قائِلةً، سأَنْقَسِمُ علَى نَفْسِي، جديدةً سأَكُونُ، كالشَّمْسِ، كُلَّ يَوْمْ.

(27)

علَى صَفْحَةِ الـذَّبيحةِ، يُغنِّي المِحْرابُ فِي الأَحْشـاءِ، النَّارُ، المُلتَهِبةُ فِـي صَدرِي، غُروبٌ، يُغَـذِّيهِ مِسْكُ اللَّيْـلِ، يُحرِّكُ القَمرُ الغُصْنَ، تُشقِّقُ البـذْرةُ الوجهَ، تنْسَحِقُ الفَاكِهـةُ، تَحْفِرُ النَّجْمةُ القَبْـر، هُوَ الأَلَمُ كِتابٌ ضـاغِطٌ علَى الجُمْجُمةِ، مِنْ باطِنِي تَخْرج الشَّمْسُ، تُحيلُ السمـاءُ الظِّلالَ ورْدِيةً، مَشهدٌ فـارِغٌ ، تـاجٌ يتحطَّمُ، تُـوَشْـوِشُ الأَوْثـانُ، علَى أَرْضيـةٍ مِنَ البِلَّوْرِ، تُلامِسُ الريحُ صانِعاً، يجْمع حَفنةً مِنَ الرِّمالِ، يداهُ تتفَتَّانِ، يَدورُ الحجَرُ، فِي القَرْنِ الأَصْفَرِ، وهذهِ الرَّغْبةُ قُبَّةٌ، تنهَـار، في بُخارِ الحُمَّى، ينْـدَى جَسَـدِي، أَثْناءَ العـوْدَةِ مِنَ الصَّحْراءِ، يتشهَّى وَحْدةَ أُخْتيْنِ تَكْسوهُما حَواسِّي بالبياض.

(28)

أَمْضِي في الطـريقِ، المُـؤَدِيَّـةِ إِلَى حـديقةِ الخطـايـا، أَلْعبُ بالأسْماء، خلْفَ أَجَمـةِ الحقيقةِ، أَشْربُ حيثُ الفتَى يجْمعُ نـرْدَهُ، أَختفِي فِي دغْلٍ، تَـرْتجِفُ الغِـزْلانُ فيـهِ، يحجُبُ الـذِّئْبُ غِنـاءَ الـرَّاعِي، هـواءٌ ينْفُضُ جَسـدِي، في النَّهـارِ الأسْودِ، يمْلأُ السَّيْلُ البُحيْرةَ، الفـاصِلةَ بين البلدَيْنِ، أَشْربُ فِي كأْسٍ سُومَرِيَّةٍ خَمْراً مُعتَّقـةً، في جُرّةٍ مِنَ الطينِ، مدْفُونةٍ تحتَ الترابِ، منذُ آلافِ السنينِ، الكأْسُ القـديمةُ، منزوعةٌ من حَجَرِ الجنَّةِ، تعْظُمُ لُهَاثاً، أَشُمُّهُ مُميتاً.

(29)

تِهْتُ، خــاسِــراً، رابحــاً، أضحكُ، أبكِي، وحيــداً، فِي الطَّريقِ، مُنتشِيّــاً، وأنَا أتمزَّقُ، ســاهِراً، أُطلِقُ اللِّجـامَ، أثناءَ الرَّاحَةِ، بعْدَ الحركـةِ، فِي الصَّباحِ، أجْتَثُّ الجُذورَ، نازِفاً، عابِراً شُكُوكِي، والعَيْنُ مُفَتَّحةٌ، أضفِرُ الكابُوسَ، مِنْ لُعابِي، أنْثُرُ الخيْطَ، الـذِي يفْتِقُ جَسـدي، يَمَّحِي شَكْلِي، ورُوحِي مُتخلّصةٌ مِنْ قَفَصِهَـا، تَبْقَى فِي سِجْنِ القَضيـةِ، الذي يبِّطِلُ الرُّؤْيَا، سائراً، فَوقَ القُماماتِ، وفِي عَدَمِي أيْضاً تلْمسُنِي.

(30)

تَجْتلِبُ الـرُّؤْيَـا روائحَ بيضـاءَ، تعْكِسُ أشْكـالاً، وتُغَطِّيهـا بالحلْفـاءِ، عندَ موْقعِ شَجَـرةٍ، مِنْهَا الفـواكِهَ اقْتطَفْتُ، دُونَ أكْلِهَا، أرى شعْرةَ الهِـلالِ الفِضِّيَّةَ، خَشْيَتِي مِنَ الفَناء، أَمُسُّ الحجَـرَ الأمْلَـسَ، مُضْطَجِعـاً علَى الأَرْضِ، نَجمـةٌ تُحـاورُ النَّهـارَ، ألاَّ تُسْمَلَ عَيْنـايَ، أَنْ أَقْرأَ ظَهْـرَ الأَحْشـاءِ، تَنهشُنِي النِّيرانُ، علَى عَيْنَيَّ يَهْجُمُ الرَّمْلُ، وفِي حُلْقُومِي يتوقَّفُ، لاَ قُـدْرةَ لِي بعْـدُ علَى التَّنفُّسِ، الكـلاَمِ، مُحْتَـرِقـاً، أَعُـودُ إِلَى قَصْرِي، وبِي خَبَلٌ، علَى طـريقِ القَمَرِ، أُسَافِـرُ، مِنْ خُطْوةٍ بيْضاءَ، تتضَاءلُ معَهَـا الأَرْضُ، أَخْتنِقُ داخِلَ لأَمَةٍ، مِنْ عهْدٍ آخَرْ.

(31)

غَريبةٌ في وطنِهَا، مَوْشُومةٌ، شديدةُ الحُمْرةِ، لدْغاتُ الأفْعى، لَسْعاتُ العَقْربِ، خدَّرتْ جسدَهَا، خائنةٌ، مُتنبِّئةٌ، تنكَمِشُ، ثُمَّ تمنحُ نَفْسَهَا، تُرْجعُ البصَرَ إلَى العمْيانِ، وتَجُرُّ أذْيالَهَا، مُتكبِّرةً، مُتزيِّنةً بالحِليِّ، أتأمَّلُهَا، أنْدفعُ، تَضْحَكُ، إنَّها جَمالُ الوَقْت، عاريَّةً، تمنعُ الكلامَ، علَى مُتشرِّفٍ، ألْمَسهَا، جِلْدُهَا، حَريرٌ كُلُّهُ، هِبَةٌ تأْسِرُ الرُّوحَ، تنطِقُ بالسِّرِّ، سِحْرُها فِي يديْهَا، تتغطَّى، والقَلْبُ مُنفَطِرٌ، تُبَلِّلُ شَفَتَيْهَا، تَخْدعُنِي عيناهَا، تُهْدِيانِي عرْشاً علَى الماءِ، جَسدُهَا الخُسُوفُ، رياحُ الشَّرْقِ تَرْفَعُ تُنُّورتَها، بيْنَ حالتينِ، بِطريقَةٍ متماثِلةٍ، أَشْهدُ، بالعِبارةِ الضَّيِّقَةِ، الهاربةِ، تِلْكَ الغريبةُ تُخْفِي أثَراً، بِجُهْدٍ أتعرَّفُ علَيْهِ، تُصيبُ الحُمَّى الحجرَ، أمْشِي فِي الوحَلِ، نحْوَ المجهُولِ، أرْتمِي، قَدمَايَ حافِيَتَانِ، فِي الوادِي البارِدِ، أُطارِدُهَا، ناحِلَةً، معَ مُتأَخِّرِينَ، انْسدَّتْ عليهِمُ الصَّحْراءُ، فِي الظِّلِّ ينبثِقُ صَدْرُها، عيْنَا فَهْدٍ، تُؤَجِّجانِ رغْبتِي، أطوفُ بمُكَعَّبٍ، مدموغةً بالخاتَمِ القَمرِيِّ،

ألتقيهـا، عَطْشَى، تَمحُـو عـلامـةَ النّهـارِ، وبِي تَقْـذِفُ إلَى اللَّيلِ، تَضحَكُ، صاخِبَةً، تتركُنِي مُنْـذَهِلاً، شبحاً مَذْعُوراً، لاعِباً على شَفَا الهَلاكْ.

(32)

مَمْشُوقةَ القدِّ، تَمْشِي مُتشائِبةً علَى ظِلالٍ راقِصةٍ، تتفَلَّى، مُنزويَةً فِي الضَّبابِ، تُراقِبُ سِرْبَ طُيُورٍ مُهَاجِرةٍ، علَى ضِفَّةِ النَّهْرِ، عِنْدَ مُنحَدَرِ جبَلٍ، هُنَاكَ مدينةٌ دارِسةٌ، مُحاطةٌ بالكُهوفِ، غُرفٌ لِلْجِنِّ، جسدِي حَجَرةٌ بارزَةٌ، أَزُورُ الحُمَّى، لَحْظَةَ السَّكِينَةِ، ذَهَبتْ، دُونَ أَنْ أَعْلمَ، أَرَى فِي البِرْكةِ سريراً، عليْهِ ينعَكِسُ وجْهُهَا، أَغْرقُ فِي صُورتِها، بَحْثاً عنْ شَعبِهَا، المنثُورِ أدْراجَ الرياحِ، جَسَدي مُنْشَطِرٌ، مِنَ الأسافِلِ إلَى العلْياءِ، أَتْرُكُ نفسِي مُنْقَادةً، بِشَجرِ عُنَّابِ النِّهايَةِ، أَلْتقِي الأَصْفياءَ، فِي مَوْقِفِ نباتٍ مُعَطَّرٍ، بهِ أُداوِي جسدِي، على جِراحِهِمْ يمْشِي الأَوْلياءُ، الأَلَمُ ثُقْبٌ، يُحيلُ صُوَرِي سَواداً، أَخْتنِقُ، وأَعْثُر عليْهَا، فِي حَضْرةِ فُسْتانِهَا المُقَوَّرِ، أَفْتحُ قَميصَها، أَشْربُ مِنْ سُرَّتِها، أَغْشَى الغيابَ، أُبايِعُهَا، أَخْتمُ على مِعْصَمِها، بِمَعْدِنٍ لامِعٍ ليْلاً، يُحْرِقُ أَزْهاراً مِنْ غَيْرِ نَرْجِسٍ ولا خُزَامَى، تُهْدِينِيَ خِرْقَةً، عليْهَا علامةُ العقْرَبِ، صُوفٌ خالِصٌ يُكَهْرِبُ جَسَدِي، كثيفاً فِي

اللَّيلِ، كـالفحْمِ قابلاً لِلتَّفَتّـتِ، شعْرُها خَلِيَّـةُ النَّحْلِ، يَطِنُّ حولَ ملِكةٍ مأْسُورةٍ، عَربيَّةٍ وبيْضاءَ، تنْطِقُ بالأَعْجَمِيَّةِ، ذاتِ نُكْهـةٍ لاتينِيَّـةٍ، تُخْفِي جَسَـدَهَـا وتُعرّيـه، تُـرْخِي شَعْـرَهَـا، وتَجْمَعُهُ، تأْخُذُ أَشْياءُ النَّهارِ شَكْلَها، غَيْرَ مُكْتَمِلٍ في الطينِ، بينَ يَـديْ نَحَّاتٍ، أَلْمسُ حَجَـرةً سَوْداءَ، ينْفَتِحُ الأثَـرُ، مِثْلَ نـافِـذَةٍ، يلْمعُ اللَّيلُ، صحْنٌ هُـوَ القَمرُ، أُكَسِّـرهُ، وأُخْفِيـهِ، تحْتَ دائرَةِ الحريقْ.

(33)

كُلُّ الأَحْياءِ تتكلَّمُ عنها، أَسْتغيثُ بِهَـا، وأَرْتجِفُ، تَقُولُ انزِلْ ضَيفـاً عَلَى مَنْ هُو فخُـورٌ بِـاسْتقبالِـكَ، بإحْـلالِكَ المحلَّ العالِـي، أَطِلِ الإقَامةَ عِنْـدَهُ، لا تُسْرِفْ في النَّصِيحـةِ، لمنْ يتَجاهَلُهَا، ظُلْمٌ أَنْ تُعْطِيَ مَنْ لا يأْخُذُ، مليئـةٌ وعذبةٌ، تُوقظُ حَواسِّي، كلامُهَا طِيبٌ، يُضَـرِّجُ، مَقْعدُهَا، فَوْقَ الذُّرَى، أَوْ فِي الأَسـافِلِ، تَرْفَعُنِي، إنْ أَنَـا طَالبْتُهَـا، نَقَّـبَتْ عنِ الكَنْـزِ، النَّائِمِ بدخيلتِي، حُضُورُهَا يمْلأُ الطُّلُولَ، مِثْلَ سَرابٍ، أُحِبُّ أَثَر فِكْـرِهَا، نُـورٌ يُضِيءُ غُرْفَـةَ جسدِي الرَّمـاديَّةَ، مـلامِحُهَا تَزورُ أَشْكالاً أُخْرَى، تَهْرِسُ بـذْرةَ القَلْبِ، رائِحَةٌ مُرَّةٌ، مناظِرُ الطبيعةِ مُتنافِرةٌ، دُخانٌ شَرِسٌ، تتحجَّرُ المدينةُ، مِنَ النَّافِذةِ، أَتفحَّصُ القَرْنَ، القَاتِلَ.

(34)

بِقفـزاتٍ صغيرةٍ، ثُمَّ خطـوةٌ سريعـةٌ، هيَ القـديمةُ، تُـدنِّسُ شبابَها، فِي داخِلِهَا تنبثِقُ الشهْوةُ، تُحرقُ الحُجُبَ السَّبعينَ، تسْتنْشِقُ زهْرةَ العُمـرِ، تصعَدُ الدَّرجـاتِ الثلاَثِ، تخْتفِي في السَّمـاواتِ، تنْـزِلُ، بِهَـا أتوَحَّـدُ، جَسـدُهَـا قِنـديلٌ، يُضيءُ الأرْبعينَ ليْلةْ.

(35)

يَتمـايلُ الهُـدهُـدُ، على شجـرةِ الآخِـرةِ، يتأوَّهُ الصَّـوتُ، ويبكِي، تخْـرجُ الأرواحُ مِنْ أجْسـادِهـا، ينطفِئُ النَّفَسُ، فِي اللذَّةِ أَشْـربُ، لوعتِي في الانْكِشافِ، أُغـادِرُ الظلمةَ، حيْثُ كنتُ أَسيـراً، أشْهـدُ، أَرْكعُ، هـذا الصـوتُ ضجيجٌ، فِي المدينةِ، يرتجُّ الزجاجُ، يحتدِمُ الخريفُ، والنَّارُ تفترسُ.

(36)

أَسْودُ، في عيْنيْنِ سَوْداويْنِ، تُغطِّي السُّحُبُ الذُّرَى، والكَهْفُ تنِّينٌ نـــائمٌ، هيَ الثَّـــوانِي ظِـــلالٌ، نَبضـــاتٌ فِـي العيْنيْنِ السَّـــوداويْنِ، ابنُ الملْحَمـةِ أَنَا، أَنْـزِلُ المُنْحَـدراتِ، بِسُرْعـةِ البرْقِ، أَخْتـرِقُ المجالَ المحْـروسَ، أُدَنِّسُ القَرْيـةَ، الحبيبةَ أَخْتطِفُ، أَدخلُ سوادَ، عيْنيْهَا السَّوْداويْن.

(37)

تَمـرُّ ظلالٌ ثـلاثـةٌ، لَهْيَ في الليلِ تخْتطِفُ الأَبصـارَ، تقْتُلُ، تجتــذِبُ كَشُعْلــةٍ وفَـراشــةٍ، تحجُبُ وُجُــوهَهَــا، لِتجَنُّبِ الضَّعيفِ، تكْبحُ سُلْطـانَهَـا، تَـرمِـي بـالقِططِ السَّـوداءِ، إلَى العنكبُـوتِ، بِصَوْتٍ عـالٍ تتكَلمُ، فِي زيارةٍ هيَ، فِي بلَـدٍ، حيثُ تبْنِي مَنْزِلاً، لاسْتقْبَـال التَّائهِينَ، المُمَجِّـدِينَ لِلْجَمالِ، بيْنَ شَعْبٍ معـزولٍ، لا يَدْخُلـهُ سِـوَى فقيرٍ، ينْشُـرُ سُخْريَّـةَ اللَّحْظةْ.

(38)

أُسافِرُ فِي العالَمِ، الذي هو ليْلٌ أَسْودُ، أزُورُ المدُنَ الخمْسِينَ، فِيهَا الوحْدةُ تبْدأُ، أوْ تنْتهِي، مُدُنُ الأَشْباحِ، أَحْياءُ منْهدِمةٌ، ساحاتٌ جديدةٌ، في السَّماواتِ، معَ الملائِكةِ، أتموَّجُ حتَّى يَشْتدَّ اللَّمعانُ، يُصيبُنِي الدُّوارُ، في فَجْوةِ الهواءِ، الحُمَّى آلةٌ، لا تتوقَّفُ، فِي اللَّيْلةِ الظَّلماءِ، أمْشِي خاضِعاً لِسُلْطانِ نَفْسٍ فارِغَةٍ، فِي الظُّلماتِ تَرى ولا تُفَكِّرُ.

(39)

تَفْتحُ لِي عيْناً، أُذُناً، تَمسُّ المِنْخريْنِ، تُغوصُ بِي في الماء،
عندَ ظِلِّ الخَيْمةِ، تَقُـولُ، لاَ تَكُنْ مَغْلُولاً، إِلَى وَجْهِيَ انْظُرْ،
إنَّنِي فِي حَيْرتِكَ، فـلاَ تَقْعُدْ، حيثُ الجَمرةُ تُزْهِـرُ، الأَسْماءُ
آثَارٌ لِما نتقَاسَمهُ، لاَ تَلْتقِطِ العَساليجَ الحَمْراءَ، لاَ تَرْمِ بِهَا،
إلَى مَـوْقِفِ المُقَرَّبينَ، احْمِلْ سَـلامَ العَاشِقينَ، المَتـولِّهِينَ،
فِي أقْصَى حُـدُودِهِمْ، رهيفِينَ فِي الابْتلاءِ، المـانعِ لهُمْ مِنْ
لَمْسِ الجرارِ المـذهّبةِ، قطيفَاتِ الحـرِيرِ، لمْسِ الجَـرِيمةِ،
التَّوْبَةِ، علَى طريقِ غابةِ أحْلامِهِمْ.

(40)

كَمِثْلِ الفَـاتِحينَ، العَاجِزيـنَ عَنِ العوْدَةِ، في بلـدٍ آخَرَ ،أَرَى نفْسِي في كُلِّ شَيْءٍ، هُـوَ القَلْبُ شَـاسِعٌ، كـالبَلَـدِ الثَّـالِثِ، المُمْتَنِعِ ، أَنْقَبِضُ، أَنْبَسِطُ، قَدمٌ في المَوْتِ، وعَوْدةٌ، أَقْبَلُ، أَرْفُضُ، تُـودعُني علامـاتٍ، أُؤوِّلُهـا، عِنْدَمـا الأَشْفَارُ تَهْتَـزُّ، عاشِقَـةٌ، لَحْظُها فـاتِكٌ، مَنْفِيَّـةٌ، لِكَلامِهَـا سِرُّ النَّـارِ، في الـوحْدَةِ، بَعْـدَ الحاجِـزِ، أَسْوارٌ مِنَ الطُّـوبِ، مَقْبَرةٌ لِلْعَـالَمِ القديـمِ ، تُزَخْرِفُهَـا الشَّمْسُ، والعـازِفُ يُغيِّرُ المقامَ، يـرقُصُ المُهَاجِرونَ، طُيُوراً صباحِيَّـةً، في ربيعٍ أَعْجَفَ، كَحَشْدٍ منَ الحَشراتِ، في لذاذَةِ البلَدِ البعيدْ.

(41)

أَفاعِي الصَّحراءِ البيضاءُ، تلْعبُ في الـزَّوايَا والأَحْجارِ، تتْركُ الآثَارَ، فِي المتاهَةِ، آثارٌ يدْركُهَا التَّائِهُ وهْوَ سائرٌ في الطريقِ، في ليْلٍ يَمْحُـو أَصـابِـعَ الْـيَدَيْنِ والقَـدميْنِ، تَحْشُـدُ النُّجُـومُ لَمعانَهَـا، في مأْوَى الشَّمْسِ، مضيئةِ ظُلُمـاتِ الدَّاخِلِ، مِنْ بيْنِهِنَّ، أَحْبَبْتُ تِلْـكَ، الجـالِســةَ علَى العَـرْشِ، كـامِلـةً ومُخْتفِيةً، أَخْترِقُ حُجُباً تُزَيِّنُهَا، عينـايَ تَعْميانِ، لاَ حَبَّةَ تُرْبَةٍ تُكَدِّرُهَـا، تُمزِّقُ العَتَمةَ كمَـا تُمزِّقُ ورقَـةً، تَصْرُخُ فِي اللَّيْلِ، شَعْرُهَا سِتَارةٌ، تَسْقُطُ علَى الجَرِيمةِ، فى مُنْتَصَفِ النَّهارْ.

(42)

نَؤُومُ الضُّحَى، فِي سـرِيرِهَا، تتكَـاسَلُ، تُنْصِتُ إِلَى الزَّيتُـونَةِ وهْيَ تُغَنِّي، تَحْتفِلُ بالـرَّجُلِ، ضَعْفاً وليناً، لَهَا عُمْـرُ القَمرِ، مُمتلِئةٌ كـالقصَبِ، لا تَعْبأُ بـالأَيَّامِ، لا تُقِيمُ في المَقـاصِيرِ، حيثُ الكـائنُ يَكْبُـرُ ويتداعَى، إِبْطُهَـا الأَيْمنُ فَجْـرٌ، لامعٌ، عانتُهَا تبْلعُ الشَّمْسَ الدَّاميةَ، عاريَـةٌ، أَصابِعُها تُؤَرِّجُ الماءَ، جِلْدُهَا رَعْشةٌ، بالزَّيْتِ تدهَنُ جَسدَهَا، تَمْشي ومِلْحُ البَحْرِ لا يُفارِقُها، عَيْنَاهَا المُبَلَّلتَانِ جـرادٌ قَافِزٌ نَحْوَ الصَّحراءِ، لأَجْلِهَا باسْمٍ بذْخٍ يتحدَّى القَفْرْ.

(43)

فِي الحديقةِ يَهْبِطُ طائرُ اليَمـنِ الأبيضُ، يُوقِظُ طُيوراً أُخْرى، تَسكُنُ صنوبرةً ضَخْمةً، يُغطِّي ظِلُّهَـا أَشْجارَ البرْتُقالِ، ترفعُ الأَزْهَارُ رِمـاحَهَا بـاتِّجاهِ السَّمـاءِ، يهُزُّ الفَجْـرُ مَعابِـدَ اللَّيْلِ، ويُمزِّقُهَا، سـاحِباً خَيْطاً أَبيضَ، يَظْهرُ عِنْدَ الأُفــقِ، مِنهُ جنيَّةٌ تَخْـرجُ، تَشُقّ صَــدرِي، وتَغْسِلُ قَلْبِي، سِحْـرٌ آيَتُـهُ سَـوْداءُ، سليلةُ اللَّيْلِ، تتـرصَّدُ الطَّـائرَ المُهْتاجَ، أَهْـربُ، معَ انتِصارِ النَّهـارِ، تَضِجُّ الجَمْـرةُ في الكَبِدِ، تُـوقَـدُ النَّـارُ، بَعْدَ مـوْتِ النُّجومِ، تَصْعدُ الشَّمْسُ إلَى خطِّ الاسْتِواءِ، أُفتِّشُ في الأَثرِ، أُنـــادِي، لا شَـيْءَ يَصِلُنِي، لاَ أَرَى خلفِي، تُعْتِـمُ رائِحَـــةُ طريقِي، لا أَفُضُّ غِشاءَ قَمرٍ، نَهاراً، يَقُودُ خُطايَ، إلَى حيثُ الطُّرُقُ تتشَعَّبُ، فَجْأَةً تَحْمِلُ الملائِكـةُ غَيْمةً، تُغْرِقُ الأَمْطارُ الوادِي، تَحْمِلُ زادِي، ومتاعِي، راعِي الغَيْمِ يَطْرُدُ العَاصِفَةَ، يَحُطُّ طائِرُ اليَمَنِ الأَبْيضُ، على عُلُـوِّ جبلٍ رأْسُهُ كـالقَرْنينِ، ذِي لـوْنِ الطِّينِ النَّدِيِّ، وهْـوَ يَغُلُّ جِنِّيَّةً كـانتْ عازِمـةً على تَشْغيلِي، عندَ سُقُوطِ اللَّيْلِ.

(44)

مُضْطَدماً بِعـابِرٍ، في السَّحابِ أنَا، ولِي رَأْسٌ مَقْطُوعةٌ، أتُوهُ بينَ الأَسـافلِ والأَعـالِي، أمْشِـي فِي الشَّمْسِ، دونَ أنْ أرَى الشَّمسَ، أتقَـدَّمُ بِخُطْـوةِ القَطيعِ، أضعُ بينَ أيْـديهِمْ، رأْسِي بالعِمامَةِ، يَسِيلُ ضَـوْئِي، معَ دَمِي، فقِيراً بينَهُمْ، مُجَرَّداً مِنَ الثِّيَابِ، لَمْ يَعُدْ لِي سِوَى نَفَـسِ الجَسَدِ، أنَا مُتَهَيِّئٌ لِلْمَوْتِ، وَاقِفاً، أمـامَ عَرِبيَّـةٍ جَمِيلةٍ، صَـوْتُهَا العَجَمِيُّ، يُحـرِّكُ، نُتُوءاً قَـاحِـلاً، صَخْـراً أبْيضَ ذَا خُـرومٍ، كأنَّهَـا مَسْخُ حَيَـوانٍ، أَتوقَّفُ، حيثُ أشْيـاءُ الأَعْلَى تتجَسْدنُ فِي حَضْـرةٍ هِيَ صُورةٌ غَيْرانَةٌ مِنْ جَهْلِي، تُغَطِّي الوَجْهَ، وتُضيفُ إلَى عِشقِي، أمُوتُ مَـرّتَيْنِ، إلَى الآخَرينَ، إلَـى نَفْسِي، لكِنْ لا أكونُ إلاَّ بِهَـا، وَعْدٌ يُـوحِّدُنَا، عِنْدَ مغيبِ الشَّمْسِ، يَحْملُ العَـدُوُّ لِي مِنْهَا، ضِعفاً شَـديدَ الشَّبَهِ، فِي حُمَّـايَ أنَا، أَسْكُنُ أرْوِقَـةَ الغِيابِ، تَهْبِطُ ملائِكَـةُ اللَّيْلِ، فِي قَلْبي، وفِي شَرايِيني تَـدُورُ، بإيقاعٍ بَطيءٍ لِخَفَقانِ البصِيرةْ.

(45)

لنْ يَكـونَ الكائِنُ شَيْئـاً، إنْ حُضُورُهُ لمْ يَكُنْ ليتَحَـوَّلَ أحْيانـاً إلَى سيِّـدةٍ، تَلبِسُ اللَّوْنَ الأَسْـودَ، تَثْقُبُ أَلِفَ الغيـابِ، التي أتَعَرَّفُ عليهَـا، مُسْرِفَـةً فِي اللُّغَةِ وفى العـالَمِ، حتَّى عِنْـدَمَا كانتْ تُزَيِّنُ الجُرْذانَ، الأرانِبَ، الأتَـانْ.

(46)

لنْ أنْسَى يوْمَ، لمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أكونَ عِنْدَ عَظِيمةِ الجلالِ، وهْوَ يتقَدَّمُ نَحْوِي، كـانَ يَوْماً، تأمَّلْتُ فيـهِ، الوَاصِلينَ، رُؤْيتُهُمْ، كانتِ العِلاَجَ، تَسـامتْ رُوحِي إلَى رَغْبَتِهمْ، إقَامَتِي، بينَهُمْ، كانتْ طَويلَةً، مُنْذُ يومَ طارَ العُصْفُورُ فيهِ يميناً، كانتْ بُيوتُهُمْ فِي رَخـاءٍ، رَغْمَ السَّنـواتِ العِجَـافِ، طـريقُ الجبَلِ، تَحْتَ أقْدامِهِمُ استَوَى، والصَّحارَى القَاحِلةُ ألْقَتْ فِي آذانِهمْ أصْداءَ الميـاهِ، هُمُ المُبجَّلُـونَ، الـذينَ قَـرَّبُـونِي، لَمْ يتنَـازَلـوا عَنِ اسْتِضَافةِ مَنْ يُهْدُونَهُمْ قُلُوباً مُنْخَطِفَةً.

(47)

أَتَجرَّعُ الحَنْظَلَ، أُكَسِّرُ سَاقَ نباتِ لَبَنِ السَّوْداء، قَلْبِي كَنَسْرٍ مُقَيَّدٍ، لا يَبْلُغُ مَداهُ، تَريَّثْ، تَقُولُ لي، سَاعتُكَ آتيَةٌ، سَتلحِقُ بِي، لا تَتعَجَّلْ، كيفَ أَنْتظِرُ، قُلتُ لَهَا، فالأسيرُ مُتمرِّدٌ، هُوَ التريُّثُ مَنْفَى، عليَّ أَلاَّ أوقعَ بِنَفْسِي، يتبدَّدُ الدُّخَانُ، تَظهرُ بِلِوائِها السِّرِّيِّ، بياضُهَا غمامٌ، يُلَطِّخُهُ النّرْجِسُ، وهْيَ جالِسةٌ، مُستقيمةٌ، علَى العرْشِ، تدورُ حوْلَ نَفْسِهَا، مَدارُهَا يَخترِقُ العَمَى، الذي سبَقَ الكائِنَ، والوَهْمُ يدُلُّ علَى شكْلٍ، لُعْبةٌ، تَصْهَرُهَا ذِكْرايَ، علَى مَرْأى البَصَرِ، لا تُسمِّيهَا الكَلِمةُ، الفِكْرةُ لا تتصوَّرُها، تدنو وتنأى، تبْعثُ على غَيْرةٍ، تَجْلِدُ دَمِي، تُوسْوِسُ لِي، هِيَ وهْمٌ وَهْمٌ، أَغْسِلُ عينَيَّ، أُقدِّمُ يدِي، تخترِقُ الستائرُ، إنّي أراهَا، أَلْمسُهَا.

(48)

عُلْبـةٌ مِنَ الشمْعِ ، علَى امْتـدادِ اللَّيْلِ، خـلايـاهَـا حُـروفٌ، تَثْقُبُ الِكتابَ، عَسلٌ يتقَطَّرُ مِنْهـا، وحْيٌ، تتهَجَّاهُ، لَها شفَةٌ سَمْراءُ، والسَّـاقُ مكْتنِزةٌ، عِنْدَ كُلِّ خُطـوةٍ، ترْتعِشُ، غيـابُها يُضرِّجُ الـوجْهَ، وضُوحُ أسْنـانِهَا صَفْحةٌ بيضـاءُ، خفيفةٌ، بينَ الحياةِ والموْتِ، تنفُذُ إلَى مساكِنِ اللَّهْوِ، تطأُ حديقةَ القُلُوبِ المُمْتلِئةِ، تُنْصِتُ إلَى أمْـواجِ الزُّهـورِ، أُنادي علَى الـرياحِ ، حامِلةِ الشَّمْسِ، علَى وَجْنـةِ الحبيبِ، مُخْتصَرٌ هُو الجوابُ، كعلاَمةٍ تَمحُـوها الرِّيحُ، ليْلاً، فَوْرَ خَطِّهَـا على الرَّمْلِ البارِدِ لبَياضِ الأزرقْ.

(49)

أَمـامِيَ القَمـرُ، يَسجُـدُ، غُـرابُ اللَّيْلِ يحُـومُّ، فَـوْقَ طُـرُقِ المَنْفَى، إلَى بِـلادِ الغـرْبِ أَمْشِـي، على كَفَنٍ أبْيضَ، يغُطِّي الأَرْضَ، في الـرِّيحِ تجـفُّ صُـورُ البـاطِنِ، أَمْحُـو حُـروفـاً كتبْتُهَا، فوقَ دفاتِرَ مَستُورةٍ، في أقْصَى شِغافِ القلْبْ.

(50)

هُوَ الوقتُ ضيقٌ، فارغٌ جسَدِي، أُسَافِرُ، في ضَوْءِ القَمرِ، أَحْمِلُ ميثاقَ الإنسانِ، لِي مذاقُ الدواء، المُرُّ، أنتظِرُ الشِّفَاءَ، أمامَ بابِي تَمُرُّ، مثْلَ هاربةٍ، إنَّها لَمْعةٌ تَخِزُ، وتُعْلِنُ عنْ سُخْرِيتِهَا، احْتِقارِهَا لآلامِي، حِجَابٌ أرْفَعُهُ، سُمُوّاً إلَى شَفقَةٍ كانتْ غريبةً عليَّ، أُدجِّنُ وَحْشاً، بدخيلَتي، حتَّى لاَ أضْمحِلّ، قُبالةَ الأسيرةِ المُنْزويَّةِ، في حُمَّاها البيضاء، بنْتِ قِنْديلٍ، يُضيءُ وَجْهُ الضّيفِ، وهْوَ يدقُّ البابَ ليْلاً، يُطالِبُ بالرَّاحَةِ، إنَّها جوْهرةٌ تنام، في جَوْفِ صَدَفَتِها، تنْتظِر غَطَّاساً، لرُبَّما يُعيدُهَا إلَى الضَّوْءْ.

(51)

كما لَوْ مِنْ بعيدٍ، سَرابٌ فـي الصَّحْراءِ، شَمساً تباركُ صباحَ بيتٍ كبيرٍ، كـانتْ تظْهَرُ، عاريـةَ الوجْهِ، نـادَيْتُ عليْهَا، مِنْ خلْفِ حِجَابِ الحُمَّى، عنـدَما كنـتُ ضـائِعـاً، في سَهْبٍ عُـدْوانِيٍّ، سَكـرانَ، في بَحْـرٍ لاَ ساحِلَ لـهُ، عنـدَمـا كُنْتُ رجعْتُ، فـارِسـاً بِـوجْـهٍ مُحْتَـرِقٍ، كُنْتُ أَراهَـا، تَمُـرُّ، بينَ الأشْفَـارِ، شُعْلَـةٌ كـانتْ تتفَتَّحُ، من بيْنِ فُجَّـةِ الأَسْنـانِ، فِي المُشـاهَدةِ دخلْتُ، كـانتْ تعيشُ في بُسْتانٍ مُنْعـزِلٍ، بِرُفْقـةِ حمـامةٍ، كـانتْ تطيـرُ، ثُمَّ تعـودُ، لا شريـكَ لَها، مُنْـذُ أَنِ اجْتزتُ البحْـرَ، وأنَا أَسْتـدْعِيها في الفِكْـرِ، وأَحْتكُّ بِوحْدَتِـهَا الخالِصَةْ.

(52)

مِثْلَ أَفعَى، بارزَةٍ مِنْ تحْتِ حِجارةٍ، عابَثَةٍ بِهَا القَدمُ، تلْدَغُ، مَنْ غَيْرِ انْتظَارٍ، على حينِ غَرَّةٍ، تَرْتَدِي قِنَاعَ السُرِّ، وتَغْشاكَ بِودَاعَةٍ، بينَ ذِراعَيْهَا، تَنْحَلُّ، وتسْقُطُ مَريضاً، مِنْ أيِّ ناحيةٍ أَخذَتْكَ، فأنْتَ الكائِنُ الفَانِي.

(53)

أَسْتَرْجِعُ هُدوءَ أُولائِكَ المُرْتقينَ إلَى السَّماواتِ، أخْتَرِقُ شَساعَةَ مَكْرٍ، تَسْتُرُهُ غِبْطَةٌ، نَوافِذُ مِنْ مِسْكٍ، ومِنْ عنْبَرٍ، تَضَعُ أخْتامَهَا علَى قُلوبِنَا، تَقْتَرِحُ مواثيقَ مُرْبِكَةً، مِنَ الصَّعْبِ تَبْجيلُهَا، رَغْمَ المُتْعَةِ المُتَساوِيَةِ، مُتْعةِ ما تقَاسَمْناهُ مفْتَرِقاً فِي حالاتِ السُّمُوِّ.

(54)

تَكيفّتُ معَ طقسٍ، ليْسَ طقسِي، فيـهِ أَسْتنْشِقُ هواءَ المحيطِ الرَّطْبِ، فيـهِ بَنَيْتُ بيتاً مُربَّعـاً، مِنْ زُجاجٍ، يُطِلُّ على أَرْضٍ من الصَّخْـرِ، مَقْطُوعـاً بِـالخيْـطِ الكَهْـرَبـائِيِّ، مَشْـدُوداً بيْنَ عَمُـودَيْنِ مِـنْ خَشبٍ، علَيْـهِ عَلَّقْتُ قَلْبِي، مَنَــاراً يَـدُلُّ علَى الطريقِ، لِمَنْ يَـرْحلونَ، ومَنْ يبكُـونَ، فِي مَسْكَني أَسْتريحُ، بَعْدَ سنَواتِ السفَرْ.

(55)

إنّــهَا مُجَسّــدنَةٌ، بيْـنَ جِنْسَيْنِ، حيناً فَتَـاةٌ، حينـاً فتًى، كُنّـا الواحِدَ ضِدَّ الآخَـرِ، كالحرْفِ المُضَعَّفِ في اسْمِي، لَمْ نكُنْ معـاً سِـوَى واحـدٍ، نحْنُ الإثْنيْنِ، لَـرُبَّمـا لَـمْ يَكُنْ لَهـا أنْ تتعَـرَّفَ، عَلَى مَنْ كـانتْ هِيَ، إنْ أنَـا لَمْ أكُنْ ألْقَيْتُ، على وَجْهِهَا نفَس كَلِمَتِي.

(56)

جَسدي يغيّرُ جِلْدهُ، أَمَامَ ملاكٍ، يعبرُني ضوءُهُ، ويأخُذُ مَظْهرَ أسيرٍ، يدُلُّني على العُروجِ إلى السماء، نَمُرُّ على دِيارِ الكَوْنِ، حَولَ الشَّمْسِ، مَلِكُ الشَّرقِ، جالِسٌ، قدماهُ مَطْويتانِ، ثُمَّ إلَى الأرْضِ نعُودُ، لِلْملاكِ قِناعُ الشَّيْخِ، أَقُودُهُ، عَبْرَ وقْتٍ غائِمٍ، علَى شاطِئ رمْلٍ أَبْيضَ، بِالحَصَى مُرصَّعٍ، بالطَّحالِبِ اليابِسةِ، بالقطْرانِ، عِنْدَ اقْترابِنَا منْ خَلْوةٍ، فيهَا القانِتاتُ ينْشِدْنَ، يغيبُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يتْرُكَ أثَراً، كانَ لهُ أنْ يُجنِّبَني العذابْ.

(57)

حاضِرةٌ حينـاً، حيناً غائبةٌ، مِنْ شَطْحٍ، ومِـنْ شَوْقٍ لا شِفاءَ لِي، بِها أَلْتقِي، عنْهَـا أَفْترقُ، عنْدمَا أَكُونُ بعيـداً، يكونُ لِي أَمَلُ أَنْ أَراهَـا، عنْدمـا أَعْثُـرُ عليْهَـا، يُصيبِنُي الدُّوارُ، تتكَـرَّرُ الرُّؤْيَا، كُلَّ مَرَّةٍ، أَكْبَرَ، والأَلَـمُ لا يتراجعْ.

(58)

أَمْشِي بيْنَ أَطْلالِ قصْرٍ مُنيفٍ، ذاهِباً إِلَى النَّهْرِ المُترمِّلِ، أمُدُّ خَطّاً من حديـدٍ، هلْ مُعَسْكـرٌ هُـوَ، هلْ حُدودٌ، إِنَّنِي كُتْلَـةُ أوارقٍ ميِّتةٍ، يلُيِّـنُهَا المطَرُ، قطَراتُ المـاءِ تُـثَـبِّتُ الغُبارَ، ثُمَّ النَّهـارُ يُصْبحُ وضَّـاءً، وأَنَـا، أتْـرُكُ العينْيْنِ مَفتُـوحَتَيْنِ، بعْـدَ موْقِفِ المرضِ.

(59)

فِي الحُمَّى الْتقَيْنَـا، فِي الصَّحْـراءِ، يـوْمَ السَّبْت، فِي عِـزِّ السَّكِينَةِ، فِي فراغِ الهضَبةِ الحَمْراءِ، قـريباً مِنْ بِرْكةٍ مملُوءةٍ ماءً، يَعْكِسُ عَلَمـاً وحيـداً، علَى يمينِ الطـريقِ، تقـاسَمْنـا الرَّغْبـةَ، في الظَّهيرةِ، عندَ ظِلِّ خيْمـةٍ، بدَّدْنَا، مـا جمَعْناهُ، في الأَلَمِ، فُتاتاً، فِي الأَحْلامِ، قـادَ الزَّمنُ النَّاطِقُ خُطُواتِي، وخُطُواتِهَا، نحْـوَ موْقِفِ النّارِ، هذَا الذي فَـارقْنَاهُ، شفَّافيْنِ، مِثْلَ إزاريْنِ أبْيضيْنِ يرفَعُهُمَا الهواءُ.

(60)

علَى مَقرُبـةٍ مِنْ العرْعَرِ كـانتْ تَقُولُ لِي، امْشِ، سَتَصِلُ، لاَ تَتوكَّـلْ على الرُّؤْيَـا، إنَّهَا مُـؤَقَّتَةٌ، هِيَ ذي القـاعِدةُ، عِنْـدمَا تتحـرَّكُ الشَّجرةُ، يتحـرَّكُ الظِّلُّ، شَمَمْتُ رائِحَـةَ غَزالٍ كـانَ يلْهثُ ويسيلُ عـرقـاً، عجَّلْتُ في السيْـرِ، حَتَّى ألْتحِقَ بِلَيْلٍ يُوحِّدُنَا، ويُفَـرِّقُنَا، تَـحِـيـَّتُـنَـا كـانتِ الوداعَ، أَضاءتْنِي، نارُ سَـيِّدةٍ كانتْ ترْشُدُنِي إلَى قَـمَـرٍ يتكاثَرُ أَزْهَاراً، قبْلَ أنْ تَرمِيَ بالحِجَارِ، فِي الحـرمِ، ظهَرتْ لِي، في شكْلِهَا الأَبْهَى، ثُمَّ تولَّتْ، وخنقتْ نيراناً، تفترِسُ أسَدَ رايتِي، بالحُمّى احْتمَتْ، واكْتسَتْ بِمِزَقِ أَثْـوابِي المحْروقـةِ، رتَقَتْ جناحَـهـا المكْسور، اختَفتْ عِنْدَ مضايِقِ صقْرٍ كان يُرِيدُ خَطْفَهَا إلَى مَمْلَكتِهِ، بيْنَ دراويشَ أكْمامُهُمْ سَوْداءُ تَسْحقُ لاَزَوَرْدَ السَّماءْ.

(61)

عَلَى ضِفَّةِ النهْرِ، تحتَ ظِلاَلِ الصَّفْصافِ، أَسْمعُ اللَّحْنَ مِنْ شَجرةِ المَقْرِ، أَشُمُّ ريحاً تكْنِسُ المَمْشى، المُزْدَحِمَ بالأشْياءِ الباليَّةِ، أَمُدُّ يدِي، مِنَ الطَّاولةِ إلَى الكِتابِ، أَلْمسُ شجرةَ الضَّوْءِ، بدَمِي أخيطُ قطيفةَ سَوْداءَ، تُغَطِّي المُكعَّبَ، أَنْشُر نشيدَ الشِّيحِ علَى رائحَةِ النَّفْط، رِئتايَ قِنْديلانِ، يُشِعَّانِ فِي هَواءِ مَكَّةَ الأَصَمْ.

آيــــاء

مواقفُ بِيلْ التّسعةُ والتسْعُون

من الهايكو إلى الشطحة

مواقف بيل التسعةُ والتسعون هو العنوان الذي يحمله هذا الديوان في أصله الفرنسي. وقد اخترتُ له عنوان آيـاء بالعربية، ذلك الاسم الأنثوي الذي ينصت إليه الديوان ويمجده. لم يكن اختياري لاسم آياء مُمْكناً لو لم أُدْخِلْ تعديلاً على ما هو في الأصل الفرنسي «آيا». فالهمزة التي أضفتها في العربية أعطت الاسمَ طاقةَ الجمع بين بداية حروف الأبجدية وخاتمتها بصيغة توحد بين الدلالي والشعري. وتلك هي لربما شطحةُ الترجمةِ، التي انتقلت بها اليدُ من حالة النقل إلى حالة الكتابة.

يختلف هذا الديوان عن قبر ابن عربي من حيث شكل المُقطَّعَات. فهو هنا يمزج بين الهايكو الياباني وبين الشطحة المعروفة لدى الصوفيين العرب. فِعْلٌ لا يكشف عن نفسه إلا عند ممارسة قراءة هادئة تماماً. فالقصائد، التي يتألف منها الديوان، عبارة عن ثلاثيات. ثلاثة أبيات لكل مُقَطَّعة. لكن هذا العدد يتضمن الأساسيَّ، وهو اقتصادُ الكتابة، أيْ ما تقوم عليه من خصائص البناء، في التركيب النحوي أو الدلالي على السواء، وهما معاً يتركان التجاوبات بين الهايكو والشطحة مفتوحة.

وما يحفّز على التأمُّل هو كيف أن شكلاً، تندمغ فيه ثقافتان شرقيّتان وشكْلان كتابيّان متباينان تماماً، ينبثقُ في إقامةٍ تمت بجامعة، في مدينة (نيُـو هَايفَن) «ييل» الأميريكية، التي لا هي تنتمي إلى الفضاء الشعري الياباني ولا إلى الخلوة الصوفية العربية. تجربةٌ شعرية تدلّنا على بعض

مُسْتَغلقات العملية الشعرية. ويبقى أن الفعل الشعري، هنا، يسْعَى لبلوغ حالة «الموقف»، في لمعة خاطفة، تركيباً أم كلمةً أم حرفاً. وهو فِعْل يتطلب التقاطع مع العربية، التي حاولتُ بها الترجمةَ ونقلَ المقطّعات إليها.

ترجمة آياء تكملة لديوان قبر ابن عربي، لا من حيث أن الثاني يسير في الطريق ذاته الذي كان للأول، بل لأن آياء طريق مختلف إلى الدرجة التي لا نعرف معها كيف يمكن الانتقال من عالم شعري إلى عالم آخر. لكن هذه القطيعة الظاهرةَ تُخفي ما يبقى في الكتابة، وهو الأنثى والأنثويّ. إنه عطش الكتابة، في سفر لا قرارَ له، من التجربة إلى المعْرفة ومن المعْرفة إلى التجربة. وهذا ما يسمح لنا بتغْيير الرؤية إلى قضيةِ الشكل في القصيدة عندما تصبح التجربةُ فعلاً كتابيّاً يخترق الحدودَ، دائماً، على سفر، في العطش، والشطحة.

محمد بنيس

7 ابريل 1999

1

إِصبعُ هلدرلينَ
على عتبةِ القرنْ
زِيزٌ يغنّي

2

في القَلْعةِ تَدقُّ الأجْراسُ
بيديه يُمسِكُ النَّاقُوسَ
والعِظامُ ليسَ لهَا ارْتِجَاجْ

3

فـي نفَـس الـمعْمـلِ
يُنـصِت إلَـى الآذانِ
وهو يَـقْـتَـلعُ شَـاهِـداتِ القـبـور

4

أقـواسٌ وأعمـدةٌ مـنَ الأنـدلسِ
تـضُـمُّ معبـدَ الإخْـوانْ
حيثُ الكَنْـزُ يلْـمعْ

5

يَطِـيرُ عَلَـى زَربيّـة خَضـراءْ
ليـلاً تنفَـتِح الصّـدَفـهْ
وفِـي عُمْـق السّـمَاواتِ يطَـارِدُ اللُّـؤلؤهْ

6

الحافلةُ الصَّفراء تحلّق فوق النَّوارسِ

في الزّبد يَغطِسُ

ويغْسل مِنديلَهُ الملطّخ بالوحلْ

7

يجْرِي السّنجبُ علَى حِبَالِ الكهرباء

إلَى الحُمرة تَمِيل الأوراقُ

وعَابرةٌ مِنْ آسيا تَتَفَحَّمْ

8

المَدينة قِدْرٌ مطبَقٌ

يأكُلُ النّهارُ وُصْلةَ الغِطاء

إصبَعهُ المقطوعُ يقطُر فِي الضّجيجْ

9

الصّـحْراء بِدَخِيلـة الـجَسـدْ

لا فَاكِهـةَ لاسْتِخْـلاص الـمَاءِ

والعَطَـشُ لقـلاقٌ أبـيضُ مطـوّقٌ بالسّـوادْ

10

تحـْتَ سقيـفةٍ حجـريـةٍ فِيمَا الكتـابُ مفتـوحٌ

يُـمـزّقُ حِـجَـابَ الـذاكـرهْ

مسـقطُ الرّأس يعـودُ إلـى الوجُـودْ

11

عـرائـسُ البـحـر فـوق رفْـرفـةِ الـحلْـمِ تغنّـي

زهـورَ النسيـان عَـلَى مـدى ارْتِـفاعِ الهضَـبـهْ

يُهـديـهِ البـحرُ صينيـةً من التّـينْ

12

بيْــنَ الألسُــنِ بيــنَ الأجْنــاسِ

راحــلاً تائهــاً في القاراتِ

يَكتــشِفُ فِــي نفْسِــه اسْــمَ الغــروبْ

13

صــدى صــوتِــه يختــرقُ الــمحيـطَ

يحمــل الــموجُ جســدَ الــزّنُــوجِ

ضحكتـــهُــم تنــفــخ فــي الأشــرعَــهْ

14

تنفــتح أبــوابُ الجحــيمِ

تســدُّ الشّياطــينُ المــداخِــنَ

جـســـدٌ آخَــر يسْــحَق جَسَـــدَهْ

15

يَضَعُ جَسَدَهُ في القبْرِ
يأخُذه ثانيةً ويُخْرجه إلَى الحَديقَةِ
أعْصابُه مذْعُوكةٌ والندوبُ ملتهبَهْ

16

يرنُّ الرعْدُ يمتدُّ الفلَكْ
عارياً يظل الهنديُّ متربعاً تحت المطرِ
بِيَده يعْصِر برتقالةَ القبيلةْ

17

الرّحيقُ الأصْفَر يرُشُّ إزَارهُ
رائحةُ المَنِيِّ من نبات السنْطِ تنبعثُ
ثمَّ تَحْتَ خَيْمَةِ الطِّفل تنْتَشِرْ

18

تَنْعكِسُ الحجَرةُ على الزُّجاجْ
هي الأشجار مِقْيَاسٌ لِلإسْمنتِ
قدماه دَامِيتَانِ رقبتُه مُنكَسرهْ

19

على الخيط فوق المياه في السماواتِ
جسدُه يرتجُّ بين تَيّارَيْنِ
نشيدٌ زِنْجِيٌّ ينَافس الفُولاذْ

20

حارسُ جَهنَّمَ شارُونُ شبحٌ حقيرٌ خَنوعٌ
يسوق التاكسي وهو يخرقُ القانونَ
يقول ادفعُوا حسبَ ما يُمْليهِ القلبْ

21

عـند الـعَـودَةِ يَـجِـدُ الـهَـواءَ علـيلاً
فـي الليـل يـتْـتَنـي خَـلْـوةً
تحـت ارتجـافاتِ الـمَـجاذِيـبْ

22

حـيّـاً كبُـوذَا وسريـعـاً
يـقـظـاً في تَـمامِ الـمركَـز مُـتـمَـنِّعـاً
واقفـاً لا يتحـركُ عنـد خطـواتِ الصـمتْ

23

مـن فَـريـُول من لـوَار مِـنْ أراغـونْ
مـن الأرجنتيـنِ مـنَ الشيـلِـي منْ كَاليفُـورنْيَـا
ذهبيّـةٌ تـجْـري فِـي عُـروقِ إلاَهْ

24

يُغَيِّرالطَّائرُ المحجوبُ شَكْواهُ
زَجَلُ الحَمامِ كصَوْتِ صَاريةٍ ينْطلِقُ
فِي أَسْفَلِ الطَّيَرانِ ينْشُرُ جَناحَيْهْ

25

في السَّماءِ الرابعَة يُصارعُ الملَكْ
بعُنقِه الجريحِ يعودُ بساعدِه المحطّمِ
مَنَاعتُهُ شديدةٌ ضدّ العَقْرب والحاريّةْ

26

زرقةُ السماء صاحيةٌ والساعة صافيهْ
يحْمِلُ النَّسيمُ نعمةً وارتعاشاً
مُشَوَّهٌ هوَ ذا الإنْسانُ النائمُ عَلَى مَقْعَدْ

27

أنْتُمْ أيها الداخلونَ لا تَخْلعُوا نِعالَكُمْ
فالظل يكشفُ الحرفَ على الجبهةِ
واللُّغزُ كالسُّمِّ لا يَزُولْ

28

في البدءِ تنطق الصُّورةُ بالشيءِ
ثم الستارةُ تَرْتخِي في مصرَ في سُومرَ
في جَزِيرة العربِ في الصين عند الأنْكَا

29

رفيقُ النّسْر والأفْعَى
مقيمٌ بين الذّئْبة والسّهْم والصَّلِيبِ
إلى الهاءِ والدَّائرةِ ينظرُ الألِفْ

30

لـوَّحَـتْهُ الشمـس عيْـناهُ غامِـزتَـانْ

هـي الرؤيـةُ محجـوبـةٌ خفشـاءُ تحـت القـمرِ

جبهتـهُ يشـقُّهـا جناحُ البومـة الصّمعَـاءْ

31

خُطـوتان بعد الـجسـرِ هـا هـيَ الـحدودُ

بخفـةٍ يلمـسُ المستشفيـات عنـدما الـمساء يُنتشـرُ

قبـالـةَ مِنْضـدةِ البَضَائعِ زِنْـجيـانِ وشَـبحْ

32

فـي الأفـق تُحتـضَر الشـمسُ نازفـهْ

يَـطـوفُ الـحـرّاقُ إِشَـارةُ الضـوْءِ تَـدورُ

صَـفاراتٌ مـن نيْكَـلٍ عليـها تَنعَـكسُ الـصور

33

يحتـرق البيـتُ تنحـجب السـماءُ

انْسـكَابُ الـمَاء يطفئُ النّـارَ

وفـي آخـرِ النّهَـار مِـنْ رَمـادهِ ينبعـثْ

34

سَـماءٌ مـنَ الـحنّـاء فَجـرٌ يلْـتَمعْ

يكلّمـه النَّـورسُ عـن آيـاءْ

عَنْ آيَـاءَ الإفْريقيـةِ البيْضَـاءِ بِأنْفهـا اليُـونـانـيُّ

35

فـي هالـةِ إعْـلانات النّيـونْ

يَصـيح الـزِّنجِـيُّ تغُلُّـه الشـرْطَـةُ

للطَّـالب الأشـقَـرِ وجـهٌ مُـدَمّـى

36

فِي الـطَّرِيق يتقـاطع ُ شخْـصَانِ
يتـبَادلاَنِ الـتَّحـيةَ يطْـمئـنّــانْ
ليـسَ شيطـاناً هُـوَ هَـذا التَّـقابُـلْ

37

جُـريْسٌ يطـوّقُ العُنـقَ يـدقُّ عنْـد الخَـطوِ
تنطفـئُ العينْـان والرجْــلان تنفَـتحَانِ
يـرى إليـه عنـزةً بثَدْيـيـن كبِيـرَينْ

38

لِـمَاذا يتَعـرّفُ علَـى الخَـرِيف فِي امْـرأةٍ
تتـقَدَّم كُلَّ يـوْمٍ خَطـواتٍ
لاَبِسـةً بذْلـةً يتغـيّر لَوْنُـها

39

لا يَلْتفِتُ يمنةً ولا يسْرةً
يثبُّتُ وجهَه أماماً يشحذُ النظْرةَ
ثمَّ الرعبُ يسْتولِي علَى الجَسدْ

40

الطَّريقُ التي تُؤدي إليْه ضيّقةٌ
آياءُ في مرْكَزِ الدَّائرة المُشْتَعِلَةْ
وَحيداً يدخُلها مَنْ يسمعُ الشجرة نَاطِقَةْ

41

ليسَ للغَريب منفذٌ إلَى السرّ
يلْمسُه الثَّاني ثمَّ عنهُ ينفصلُ
والأخيرُ يخَيّم قُبالةَ المدْخلْ

42

كيفَ تَخْترق الدائرةَ الطريقُ مغْلقةٌ
والمدّعي يَرتجّ بيْن الأسَافلِ والأعَالي
فِي منتَصفِ الطريقِ يسْتولي عليْه القلَقْ

43

ليْس للمَركَز بابٌ آيَاءُ تحكُمهُ
آياءُ فِي المركَز تعنّف بالأشْكالِ
مَنِ الفالِتُ منها أَكانَ حيّاً أمْ ميْتاً كَانْ

44

أربعُ حمَاماتٍ يطرْنَ وهْيَ جَامدةٌ تبقَى
يهيّجُها الحَسدُ تفَارقُ الغيابَ
تَمْنعها القُوة يعرّيها الشكُّ

45

يَدنُو من الحَرَم الممنُوعِ

لا أحدَ يطوفُ بالمركزِ

خلْفَ الحَاجزِ يسْمعُ: آهْ

46

يَقُول لهُ الضَّيفُ انسَ السِّرَّ

لاَ شيءَ هنا مُغْلقٌ كلُّ شيءٍ واضحٌ

لكَ يُعطَى ولاَ مِنْ معنًى ينْحجِبْ

47

يَبتسمُ يعانِدُ يدْخُل كلَّ مكانْ

يَرى الكُلَّ لا شيْءَ ينغلقُ عليْهِ

يفتحُ القلوبَ لاَ يَرَى سِوَى الجُدرانْ

48

إلَى أيْن يَصعدُ حتَّى يُدركَ أضْواءَ هَذهِ البقْعةِ
مَحْروسَةً خارجِ المَدينةِ
وفي الطَّريقِ يتخطَّى الحَواجِزَ

49

الذَّهبيةُ التي يَشْربانِ مسَاءً في الحَانَاتِ
عند الإيطالي عند اليهودي عند الزِّنْجِيُّ
معاً يزِنَان أمكنةَ القارَّاتْ

50

صَباحاً علَى الزَّربيَّةِ الخَضْراء نوارسٌ
أحْجارٌ بيضاءُ قُبُورٌ في صحْراءَ
تُقطّر تحْت الأمْطارِ مُؤامَرةْ

51

الشجرةُ بالدَّمْعِ تَصْنَعُ حجَرَها الأسْوَدَ

زَوْرقٌ جِذعٍ يُطارد التِّمسَاحَ

والطائرُ يَخْترِقُ القِناعَ الضَّاحِكْ

52

السُّحبُ بالُونات فرحٍ

قطنٌ مغْزولٌ في عين الإبرةِ

أشرعةٌ منسُوجةٌ تُهَجِّرُ القلُوبْ

53

طريقُ المنْفَى دلُّوهُ علَيهِ

يُحَاذِي تعرُّجاتِ النهْرِ

وفِي الغابةِ تحيطُ بهِ الحَيوَانَاتْ

54

الـجُـذور دُرجٌ يتعثّـر فيـهَا
يتحـرَّك السِّنـجَابُ يتحـوَّل حَـرباءْ
وفـي رغْـوةِ الـجَـداجـدِ يرْتَـمِي

55

يقْـرأُ جالِسـاً علَـى مقْـعَـدِ من الجِلْـد الأخْضَـرِ
وفِـي رِواقِ الـدَّيْـر تظـلُّ الـنُّجـوم بَعيـدةً
عِـنْدَ وقْـتٍ مُتـأخّـرٍ تـتحوَّلُ الحَـرْبَـاءُ إلَـى بُومَـةٍ

56

يـَخْلـقُ الـجِنْـسُ لُغـةَ السّـلْـبِ
بَيْـنَ الـسُّـموِّ الغِبْطـةِ السُّقـوطِ
تَـحْـتَ الإفـرِيـزِ تَـبْـدأُ العـَلاقَـةُ

57

يبّلُـغ سَهْـباً شاسِـعاً
فيـهِ بِكَلِمَـات الطُّـيُور المتّجهـة صـوْبَهـا العَيْـنُ
يرعَـى الـمَعْنَـى الّذي ينُكـرهُ الشُّيـوخْ

58

مِنْ غيْـر اخْـتـيِاَرِ ولا تفحُّـصِ ولا حَـذرِ
غريبـاً يظـلُّ كمـا جَـاء لأوّل مـرّةٍ
في الـمَتَاه دَليـلٌ يسْتبـْطِنهُ الدّليـلْ

59

بحْثـهُ طَريـدةٌ تخْتـفِـي
طَـريـقُــهُ صَـعْـبٌ معْـنـاهُ غـامـضٌ
العِـلْــمُ ينُكـره آثـارُه مُـحْـرِقَـةْ

60

عَلَى السَّاحَةِ تُلمِّعُ الشَّمْسُ القَوارِيرَ
أرواحٌ ترافِقُ وحُوشاً مدجّنةً
حديقةٌ مِنْ رمادٍ فيها يَجْرِي الوِلْدانْ

61

خُضْرةُ الأشْجَار تُؤاسِي عينيْهِ
يرْحَلُ عَنِ القوْمِ المُحَارِبِينَ
يُغَادِرُ عالَمَ الغُبارْ

62

دائِماً يذْهَبُ غَرْباً صَوْبَ الفراغِ
يشُدُّ الخيْطَ الَّذي يفْتِقُ الظِّلالَ
تُهديه اللُّغةُ هِبَاتٍ لاَ مُنْتَظَرَةْ

63

فِـي إنْـبِـيـقِهِ تَستقْـطرُ الشـمسُ الـذهبَ
تطـفُـو الـمدينـةُ كلُّ قلعـةٍ تَـفْـقِـدُ ثِـقْـلَـهـا
ومَوْكِـبُ العَـاشِـقيـن يَـنْـزِلُ جَـزِيـرةَ الـعاشِـقِـينْ

64

يَـرَى إلَـى الـمَدِينَـة خَارجَـة مِنْ بُخَارِ وَرْدِيٍّ
مِنْ نَافِـذَتِـه يسْتَـقبِلُ النَّسِيـمَ
ويَقْـرأُ أرِسْـطُو شبيهـاً بـأيٍّ ناسِـكْ

65

مَوْلُـوداً تَحْتَ تأْثِيـر العَـوْدَة إلَى الآلِهَـةْ
إنَّـهُ الـمَأْخُـوذُ بعاصِـفة القَـمَرِ
رَاحِـلاً، كالبُخـارِ، فَـوْقَ الأَمْـوَاجْ

66

حَـوْل جَـمرةِ الشـمسِ يتشـرّد القَـمَـرُ
كامْـرأة تطاردُ كلْبَـها
وحَـلٌ في البقَـايا عنْـد طَـرفِ الغاباتْ

67

نردٌ ضخْـمٌ مـرمـيٌّ علَـى صِينيَّـةٍ بيـضاءَ
تُـمْسِـكُ يـدُهُ بمَـصِير الـمَعْرفَـةِ
سِـتَارةُ الـمَرْمَـر في معْبَـدٍ مـنَ الشَّمْـعِ

68

كَان بـودِّهِ أن يراهَـا تسْقطُ فِي الظَّـلامِ
تلك التُّفَـاحـةُ الحَمْـراءُ التـي تهيِّجُ الذّنُـوبَ
شُعـاعٌ أخْـضرُ خلْـفَ الغَـابـهْ

69

الرايـةُ خفَّـاقـةٌ كُـرةُ الذَّهَـبِ لامِعـةٌ

فوق الـمدْخنـةِ يُـومـضُ الضـوْءُ الأحْـمـرُ

وفـي أَعْـتقِ لُغـةٍ يلـقـى بأُمنـيّتِـهْ

70

يلْبِسونـهُ مُسـوحَ الشَّـيطَـانِ بالركُـوعِ

يأمـرُونـهُ يجِـيـبُ أنَـا عَـائـدٌ

إِلَـى الـنَّـارِ فالجبـلُ لـنْ يكُـونَ رمَـاداً

71

غـريبٌ متـمـرِّدٌ

حالُـه فَـارغٌ ذاكِـرتُـه واضِـحَةٌ

فــريــدٌ مـعــذبٌ حَـسُــودٌ مهْـمُـومْ

72

قـديمٌ فـي السَّـماء وعلـى الأرضِ

خـدمَ الـملائكـة َخـدَمَ الإنـسَ

للبعْـض الخيْــرُ للآخـرينَ الشـرورُ

73

يتنشّـفُ بـمِـنْـشـفة سـوْداءَ

مَـنْ يُـنكِـر الشـرّ يَـجْهـلُ الخـبـرَ

في الـنَّـار يذوبُ القلـبُ اليَـدانِ تتبـدّدانْ

74

أبعـدَ مـنَ الســّرّ مُـباشـرةً قبـْل الإدْراكِ

مِـنْ وراء الـحجَـاب يقـولُ لـهُ لا تكُـنْ

فَـيكُـونُ مِـنَ اللاَّوجُـودِ يـأتِـي إلَـى الوجُــودْ

75

يُحـوّمُ مضطـرباً ذرّةً في الصَّـحراءِ
قلبـهُ صـمْـغٌ مجـوّفٌ غـوْرٌ
بُـذورُ الإلَـهـيِّ لا ترسُـخُ فيـهِ

76

لاَبِسـاً خِرَقـاً وجْهـاً مُتـرباً حـدَقتيْـنِ ناريَّتـيْنْ
كنـتُ اليـدَ عشـرةَ أصـابعَ مقطُـوعَـةً
بِـأَصَـابِعِهِـمَـا الـمَقْـطُوعَـةِ صَـارِخـاً يمـدُّ اليـدَيْـنْ

77

صِينـيٌّ يقلّـمُ أظافـرَ امرأةٍ زِنْجِـيَّةٍ
خَلْـفَ الواجِهَـة البيضَـاءِ واليُونانيّـةِ
كَانتْ قَدِيـماً طوابعُ الْبَرِيدِ إلَى القَـمَر تُـبَـاعْ

78

يُولَـدُ النهارُ يحيلُ أبيـضَ كُلاً من الـورْدِيّ والأخْـضرِ
كالصُّـورةِ التـي تُظـهِـرُ في الـمـاءِ
فجـراً لاَ كفجرٍ في غرْفةِ سَوْدَاءْ

79

نَـاهِـضـاً جسَـدُه مـرْضُـوضٌ رقبتُـه منْـهوكَـةٌ
ظـهرُه منكَـسرٌ قنـاةُ الأعصـابِ متّـقدهْ
مُشبَـعاً بكَـلمـاتِ الـحَـلاّجِ أوْ أقـوالِ الشَّـيطانْ

80

الـجدارُ الأبيـضُ يسْتقْبِلُ أوَّلَ شُـعاعٍ
شفْـرةٌ حَـادةٌ لِسـكّـينٍ بمِـقْـبـضِـهَـا الـذهبـيِّ
وبسُـرعةٍ خَاطِـفَـةٍ إلـى قسْـمينِ يتـكَسَّـرُ الرُّمـحُ

81

مفتُوناً بلَوْعةٍ هيَ صَحراءُ الرؤيةِ
كالوليدِ مُرتَجّاً بانْتعاشةِ الصّرْخة الأولى
عنْد صدْمةِ الضَّوْء

82

سِجْنٌ أو جحيمٌ فيه المُجرمُون يتكدّسُونَ
مِنْ بين الأَشقياء متضرٌّعُون حُبّاً
أرواحٌ قُدسِيّة تخطفُ الأبصارْ

83

مِنْ غَير عذَابٍ ولا شَقاوةٍ يعيشُ أحْلامَهُ
تَواطؤُ الجرائمِ ينتهِكُ ما لا يُنتهَكُ
ثم مُحَمّلاً بثِقَلِ الحَقّ يعودْ

84

قُبِـضَ علـيْـه سُجِـنَ حُـوكِـمَ
صُلِـبَ أُحْـرِقَ رماداً منثوراً صـارَ
وبِـرذائلـهِ يُـوصِـي قمّـةً شـمّاء

85

يضْحَـكُ قليـلاً يبْكي بلا هـوادهْ
جَـمـراتٌ في الكعبيْنْ تأكـلُ الـمُـخَّ
سَمعُـهُ متّـقِدٌ أسْنـانُـه وأشفـارهُ أيضـاً

86

نهَـرٌ مِـنْ تيـن الهنْـدِ منَ العَـقاربِ الأفـاعِـي
فِـيـه يُلْقَـى بحُمُـرِ الرغْبـة ببِغَـالِهَـا
مَشْدُوداً إلـى الـمـوْت يبـدّلُ الـجِـلْـدَ

87

قَـطْـرةٌ مِنْ تقيُّـحِ هـذا الـجُـرحِ في الشَّـرْقِ
رُبّـمَـا تغـزُو أهـالي الغـرْبِ الأقصَـى
مُتوحِّـشُـونَ مطْـبَقٌ عليْـهِمْ في عُـبّادِ الشَّـمسْ

88

جِسْـرٌ يقطَـعهُ بأسْـرعَ منْ وَميـضٍ
كَـوكـبُ الـزُّهـرةِ يُـوجّـهُ ليلَـهُ
ريـحٌ تُـؤازرُ أسْـرابَ الطـيُـورِ الرَّاحِـلَـةْ

89

كـمْ سنَـواتٍ بيْـنَ رُكْبتيـهِ وكعْـبِـهِ
تركـعُ الأمـمُ لأصْنامِـهَا
والإلاهُ الذي هُو يعْشَـقُه ضَـاحِـكٌ ولاَ يَـبيـنْ

90

فوْقَ كُلِّ واحدٍ منَ الجبَال لُؤْلُؤةٌ
تُضيء نَهاراً طويلاً جائِراً خانِقاً
بمشَقَّةٍ يتنفّسُ بيَدِه مُتلهِّفاً يضْرِبُ علَى الفَخِذْ

91

قطرةُ البَارحةِ تُشْعِلُ النَّار في هذَا النَّهارِ
النّهارِ الذي أُغلقَ عليْه في تَابوتٍ من الجمْرِ
النّهارِ الذي يقتلعُ الأحشاء ويفترسُ اللّحْمْ

92

قِناعٌ منْ سعَفٍ يحْمِي وجهَهُ
إنَّ النهارَ المتوقّد كبْشانِ يتنَاطحانِ
قَدمُهُ بحَجرةٍ تصطدمُ إبهامُهُ يدْمَى

93

مَاءٌ منْ ذَهبٍ يجْرِي في اتّساعِ الغـديرِ
علـى الشَّلالِ يَسْتبقُ البلورَ المتكسّرَ
الرنّانَ في صُندوقٍ يغطّي القنْطرةْ

94

يَغْطِسُ أَسْفَلَهُ في حوْضٍ منَ الزعْفرانْ
كَصفّايةِ القهْوةِ يرتشفُ الترابَ المبلّلَ
وعندَ العودةِ تهيّجُ قدماهُ سربَ الحمَامْ

95

مُتوثّباً كَالدّيناصُورِ جَاهزاً للانْقِلابِ
قبلَ أن يُكسّر مِسَلاتٍ وقبوراً
عَلى مخْزون الألْواحِ يقْفِزُ

96

خلـف الضَّـوْء سَـاعَاتٍ ركضَ
وفِـي الـكَمـائـن رأى علِـمَ وأَخَـذَ
إنـهُ النَّهـارُ اتّسـعَ وهـا هُـوَ يَـنْضَـبِطُ

97

غَـداً بعْـدَ ألـفِ سنـةٍ سيـعودُ
سيـحْمِلُ معْطـفَ مِلِـكِ النُّـورمَانيِّينَ
تَـمْجِيـداً للـحُـروفِ الأربـعـةْ

98

فِـي يوْمِ النّـهايـةِ سترْتـدِي آيَـاءُعشـرَ بـذْلاتٍ
أنّـى لكَ أنْ تحـلّ شعْـرَها تُـجـرّدهَـا
تدعُـوهَـا إلـى مُـغَـادرة الخِـبَـاءِ بقَـدَميْـنِ حَـافيـتـيـنِ

99

يطـاردُ اللَّـوامعَ الوحْـشيَّـةَ اللوامــعَ الـمُبلّلــهْ

عــلَـى الأوراق يميــزُ بيـــنَ آثَـارِ آيَـاءَ

يَـلْـمَـسُـهَا إنَّــها حـَارةٌ ومُـرتعِـشَـــهْ

بين مقامين

يتوقف السائرُ بين إقامتَين، فضاءيْن، مقامين، حالين، يبتهجُ بوقفته، يهبُّ منتصباً، بين زمنين، يفتش عن اللحظة القصيرة التي يواجه فيها بكل قامته مقامَ الرؤية أو الكلام الصادرِ عن دواخله. ذلك هو مفهوم «المواقف» الذي أصّلَهُ التصوفُ العربي.

ولا بُد من الإشارةِ إلى أن لهذا المصطلح، أيضاً، مساراً طبيعياً في لغات عديدة، وخاصة ذات المرجعية المسيحية. وهو يكتسبُ معناهُ من الألم والعنف الموذوعين في توقفات القصيدة. لكن هذا العذاب الفردي لا يبطل المتعة ولا اللذائذ المأخوذةَ بحُمياً الحياة؛ إنه لا يرمي إلى تقبُّل الشرِّ الذي يجري في الشوارع والمسالك التي تشق الأرض، ولا يدَّعي غسْل العالم ولا تطهيره. كما أنه لا يَهتمُّ ببسْط القصيدة باتجاه مدى يحد أفق الخلاص البشري. نيتي، هنا، هي أن أقترحَ على القارىء إجهاد ذاكرة لغتِه ليترك حاضرا فيها شُعاع المصطلح الصوفي، كما أبدعه المتصوف محمد بن عبد الجبار النِّفَّري، صاحب كتاب المواقف والمخاطبات ونظّر له الشيخ الأكبر ابنُ عربي.

على هذا النحو يُمكنني إخصابُ إرث كتابةٍ قادمةٍ من لغة أخرى، هي العربية، التي أرغمت النِّفَّري، في النقطة القصوى من تجربته، على مواجهة المستحيل. فبالاتحاد مع المطلق يقوم

النفَّـري بالتضحيـة بكامل طاقـته اللغـوية. ألا يعنى هـذا أنـه يتخلى عن كلمـاتـه من أجل أن يجعـل منهـا هبـة للـذات العُليـا؟

تلـك هـي شـعريـة النفَّـري الـذي يضاعـف، في مواقـفـه، شخصـيتـه، واهباً كـتابتَـه للمطـلق حـتـى يبلـغ النقصـانَ الذي يُعكِّـر صفْـوَ اندمـاجـه باللـغـة وبالعالـم. إنـه، إذنْ، يَـمكـرُ بـنَـا نحـن قـراؤه كما يمكر بنفسـه، مالـئاً ذلك المشـهـدَ (الـذي يـجـري حـواره فيـه مـع الـمُطـلق) بانفعـاليـة وخضـوع يمثّـلان تأليـماً للـذات لا شِـفـاءَ منـه. ينـشـأ الـوهـمُ، فـعـلاً، عـنـدمـا نتـوقـفُ عـن الاعـتـقـاد بـأن الـمُطـلـقَ ذاتـه هـو الـمتكـلـمُ وليـس الشـاعـر الناطـق علـى لسـانـه بجُـمـل مُـركَّبـةٍ بمـشيـئتـه. وتنبلـج الـحقيقـةُ عنـدما تـدرك أبصـارنا ومسامعُـنا أن الـمطلـقَ ليـس سـوى ذاتٍ خلـقـها الشاعـر. وحتـى يُـريـحَ الشـاعـرُ ضعفه ويطـمئنـه، سـواءٌ أكـانـتْ حـالـتهُ قلقـةً أم غيـر راضـيـةٍ، يُعلـن عـن كـونـه مُـسَـلَّـحاً بـمـا يـحـتـاج إليـه، بعـد أن مـر باختـبـار التعلُّـم الـذي لا يُـعـفِـي مـن العِـقَـاب.

هـكذا ارتبـطتْ كلمـة «الـمواقف» بالنفَّـري، متـرسِّـخَـةً فِـي التَّـصوف، ومـن ثـم فإني هَـدَفـتُ إلَـى إضـاءة المشهـد، ولو بصـوت هَـامِس، يستقـبـل الكلـمـةَ الألْفـيـة التي تظـل حيـةً علـى الـدَّوام.

وإذَا كنـتُ، في عنـوان قصيدتي، قـد غـيَّـرتُ مقصـدَ المصطلـح الـذي يبـدو أنـه أصبـح مِلْكـاً للنفـري، فـإنَّـنِـي لا ألتـزم بطـريقتـه

التي يسْتلهِمُها العنوان. إنّني لا أُعطي الكلمةَ للمطلق. هناك فقط كل ثلاثية (وهو شكل مقطّعاتِ القصيدة) تتركز فِي الخطِّ المرسوم على امتداد تيهَاني. تلك هي الوقفةُ بين حالين، بين مقامين. وقفةٌ تعلن عن السهر في سداد الموقف. واقفاً مثل انبعاث طوْطمٍ متحجِّر على قِشرة الأرض.

لربما كان انبثاقُ التمثَال محدَّداً باسْتعمالِ ضمير الغائب، حيث يتكلم الشاعرُ عن نفسه بواسطةِ الضمير، الذي هو في العربية دالٌّ على الغَيْبة. وهذا الاستعمال يساهمُ في أن يجعل الذاتَ شخصاً آخر، نراه بوضوح أكثرَ عندما يخرج من المرْآة، صورةً من بين الصور، ويمكن تمييزُه في موكبِ الأشباح والأشْكال.

إن الحالات، حالاتِي، معِيشةٌ، والمقامين تمت زيارتُهما على طريق فَضاءِ المعرفة المسكونة بالسُّلْم والراحة، وهو ما لا يمنع من أن يكون هذَا الفضاءُ مطوَّقاً وأحيانا مُختَرَقاً بالمحكوم عليهم وبالشياطين.

فالداخِلُ هجمَ عليه طقسٌ مجهولٌ وغريبٌ. وقدْ قوَّى، عبر الشق المفتوح بين الصيف والخريف، الانطباعَ الجهنميَّ بالثِّقَل، وبالرطوبةِ والحرارةِ الخانقة. إنّه جوٌّ يسْتولي عليكَ، كما لو كنتَ وخْدةً شيطانيةً في طريقها إلى التجسْدُن. عِندَهَا علمتُ، وأنا أؤجِّل صرامةَ وقساوة الشتاء، أن موْطنَ الهنُود الحُمر كان يتجاوب منْ غير حواجزَ مع مدار السرطان جنوبا ومعَ القطب شمالا.

ويحْـدثُ أن اهْـتياج النصــوص يَـجـعل الأمكنـةَ فـي حالـة جيشان كمـا يُـضاعفـهـا. فقــراءة دفــاتـر الـرسَّــام دُولاكـــروا، الـخاصــة بزيـارتـه للـمغرب، وكـذلك مـذكــرات غُـوستـاف فْلوبيـر بين قسنطينـة وقرطـاج، أعـطت للفضــاء الأميركـي، الـذي كتبـتُ فيـه مــواقـفي، نفَـساً مــن هـواء يهــب علـيَّ مــن المغـرب العـربي. ثم بإيـقَــاع نبيلٍ وحمـاسٍ، غـنَّـتْ طواســين الحَــلاج شخـوصَ القيــامـة التـي تـملأ الـجحيـمَ المحيـط بِـي. فيـما تبــريـرات الشيـطان الـحاذقـة، الدَّارِسـة بفعـل إمـلاء الـحلاج لـحجج الـمريد، تطبــعُ الشـر علـى قطيفــة هـي جلْـدُ العالَـم.

هـو ذاك الأصــــل الـــمتنوعُ للخيـوط التي تنْســج مقطعــــاتِ هــذه القصيـدة. فبين النعــمة التي أنْعـمتْ بهــا عليـها الـولادةُ وبيـنَ الــزمـن الـذي يُـنهيــها، تبـدَّى لـي أن الأقـوال الـسابقـة تحــرِّف اسـم الشاعر الألـــمانـــي هُــلدرليــن الـذي يبـدأ بحـرف الهـاء، والشاعــر الفارســي الـحسيـن بن منصـور الـحلاّج، الذي يبدأ بحرف الحاء (وهما معا H في اللاتينيـة) ثم أيضا مقطع «الإشـراقات» لرامْــبُو الذي يحمل عنـوان الهَاء (H)، وهـو لغـزٌ يـرنُّ كأُحجيــةٍ محكـومٌ عليــها بـأنْ تبــقـى مِـنْ دون جـواب مُقْـنِــع.

عبد الوهاب المؤدب

باريس، في نوفمـبر 1994

الفهرس

المشروع القومي للترجمة

اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
الحركات الفنية	إدوارد لوسي سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : لطفي عبد الوهاب / فاروق القاضي / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
مثنوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبة
رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجي / عبد الوهاب علوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
الرواية العربية	روجر آلن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	يول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت . محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت . رمسيس عوض .
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانغ رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت حسين محمود
السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت . فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت . حسن ناظم وعلى حاكم
صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت . حسن بيومى
فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بوريس أوسبينسكى	ت · سعيد الغانمى وناصر حلاوى
بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت . مكارم الغمرى
الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت · محمد طارق الشرقاوى
مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت · محمود السيد على
مختارات	غوتفريد بن	ت · خالد المعالى
موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
نون والقلم	جلال آل أحمد	ت . ماجدة العنانى
الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت · إبراهيم الدسوقى شتا
الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
وسم السيف	ميجل دى ترباتس	ت محمد إبراهيم مبروك
المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت · محمد هناء عبد الفتاح
أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت . نادية جمال الدين
محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت فوزية العشماوى
مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت · سرى محمد محمد عبد اللطيف
ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت . أشرف الصباغ
تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت · إبراهيم فتحى
السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس

بين مقامين

يتوقف السائرُ بين إقامتَين، فضاءيْن، مقامين، حالين، يبتهجُ بوقفته، يهبُّ منتصباً، بين زمنين، يفتش عن اللحظة القصيرة التي يواجه فيها بكل قامته مقامَ الرؤية أو الكلام الصادرِ عن دواخله. ذلك هو مفهوم «المواقف» الذي أصّلَهُ التصوفُ العربي.

ولا بُد من الإشارةِ إلى أن لهذا المصطلح، أيضاً، مساراً طبيعياً في لغات عديدة، وخاصة ذات المرجعية المسيحية. وهو يكتسبُ معناهُ من الألم والعنف الموِدُوعين في توقفات القصيدة. لكن هذا العذاب الفردي لا يبطل المتعة ولا اللذائذ المأخوذةَ بحُمياً الحياة؛ إنه لا يرمي إلى تقبُّل الشرِّ الذي يجري في الشوارع والمسالك التي تشق الأرض، ولا يدَّعي غسْل العالم ولا تطهيره. كما أنه لا يَهتمُّ ببسْط القصيدة باتجاه مدى يحد أفق الخلاص البشري. نيتي، هنا، هي أن أقترحَ على القارىء إجهاد ذاكرة لغتِه ليترك حاضرا فيها شُعاع المصطلح الصوفي، كما أبدعه المتصوف محمد بن عبد الجبار النِّفَّري، صاحب كتاب المواقف والمخاطبات ونظّر له الشيخ الأكبر ابنُ عربي.

على هذا النحو يُمكنني إخصابُ إرث كتابةٍ قادمةٍ من لغة أخرى، هي العربية، التي أرغمت النِّفَّري، في النقطة القصوى من تجربته، على مواجهة المستحيل. فبالاتحاد مع المطلق يقوم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٨٢١ / ١٩٩٩

الترقيم الدولي (I. S. B. N. 977 - 305 - 150 - 1)



قبر ابن عربي يليه آياء

بين ابن عربى وعبد الوهاب المؤدِّب ثمانية قرون . شهادةُ على تبدُّل الزمن (التاريخى والثقافى) وعلى تبدُّل العاشق والعَشيقَة. لذلك فإن قبر ابن عربى إعادةُ كتابةٍ حديثة لتجربة العشق، فى زمن لم يعد يلتفت للعشق ولا للعشاق. لقاء يتحقق بعد ثمانية قرون، عبر تجربة شعرية تنفذُ مباشرةً إلى الزمن الشعرى، الذى لا يتوقف عند الزمن التقنى، التاريخى.

يخطف الشاعر الأثر الصوفى ليُلقى به بعيداً، فى جهة مجهو الذات ومن الكتابة. فى المجهول، فى دروب مُبهجة لا تُفصح دائماً عن للجمال الساطع. تجربة الداخل تتوازى مع تجربة الخارج. فى الت بينهما، فى الانبثاقات، فى الحُمَّى، تظل الحبيبةُ لصيقةً بقلب متولِّه، لا له ولاغرب. جمرةُ العاشقين تمتلكُنا مثلما تمتلكُ فضاءَ الديوان.

حرارةُ الرِّيح أو احتراقُ الأحشاء شيءُ مما يجعلنا مـ بالحروف اللانهائية للكتابة، حتى لا قدرةَ لنا على التنفُّس أو مقاو يُمْحى من علامات الطريق، ونحن إلى الهلاك سائرون، المنحدرات، فقراءَ، مجرّدِينَ من الثياب.